ما يختلف فيه الإسلام

عن

الفكر الغربي والماركسي

تأليف
أنور الجندي



بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى البحث

﴿ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك﴾ .

﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير . فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ﴾ .

حماية الذات الاسلامية من الاحتواء والحصار هى غاية الغايات التى يجب أن يركز عليها الفكر الاسلامى فى هذه المرحلة من حياة الأمة الاسلامية (منتصف العقد الأول من القرن الخامس عشر) فى مواجهة الحملة المتزايدة التى تتسع كل يوم منذ بدأت علامات الصحوة الاسلامية والخروج من التبعية ، واقتحام بعض الأقطار الاسلامية للاصالة والعودة إلى المنابع كظاهرة عملية لاندفاع الموجة الاسلامية التى تتنامى اليوم فى قلوب وعقل الشباب المسلم المثقف فى اغلب بلاد العالم الاسلامى والتى تتمثل فى صيحة (العودة إلى المنابع) وتصحيح المفاهيم ، وتأكيد مفهوم الاسلام بوصفه (منهج حياة ونظام مجتمع) والانطلاق إلى بناء المجتمع الاسلامى الملتزم داخل نطاق المجتمع الاسلامى العام من خلال ظاهرتين كبيرتين :

الأولى : ظاهرة رفض النظام الربوى المصرفى واعتماد المصارف الاسلامية والمؤسسات التى يقوم الاقتصاد فيها على اساس المشاركة والمضاربة .

الثانى : اسلام المرأة وجهها لله ، والعودة إلى الحجاب ، وفهم مسئولية الاسرة والمنزل والطفل فهما اسلاميا صحيحا .

وإن هذا الشباب المسلم الملتزم ، فى ثيابه وصلاته واسلوب الحياة فى اسرته وفى مجتمعه وفى حركة التعامل مع الناس فى أشد الحاجة إلى حماية وتوجيه ومعالجة لمختلف ما يمر به من مواقف وامور ومتابعة

تحركاته على النحو الذى يعمّق فيه شعور الالتزام والانتماء ، والقدرة على الصمود فى وجه المغريات الكثيرة المبثوثة حوله سواء عن طريق المجتمع نفسه من حيث العرى وأسلوب الحوار وفقدان الوعى بالحلال والحرام ، أو من خلال ما يعرض عليه فى التلفزيون والمسرح والصحف من مفاهيم وقيم تختلف تماما عن مفهوم الاسلام فهو فى حاجة دائمة إلى تذكرة وإلى تقوية العزم على الثبات فى وجه المغريات المتدفقة ، ليصمد على ايمانه بالله والتزامه حتى يتكون من خلال ذلك : المجتمع الاسلامى الملتزم القادر على حماية نفسه من أعاصير الحضارة الغربية التى تهب على المجتمعات الاسلامية لإفسادها واغرائها بالتحلل والجرى وراء الأهواء والمغريات .

ولعل أخطر ما يواجه شبابنا المسلم هو : قصور مناهج التعليم عن العطاء الاسلامى الحقيقى وهذا هو ما نرجو أن يعوضه الشباب بالثقافة الاسلامية الحرة الملتزمة التى تقدم له وجهة نظر الاسلام فى مختلف قضايا السياسة والاجتماع والاقتصاد .

○ ○ ○

إننا نطمع من تبنى هذه القضية أن نصل فيها إلى موقف حاسم وإلى نتيجة ايجابية واضحة تحقق لنا (تصويب) الواقع المضطرب الذى تعيشه المجتمعات الاسلامية من ناحية مفاهيم وقيم مقدمة لها أو مفروضة عليها تختلف اختلافا واضحا وعميقا عن قيمها الاسلامية الحقيقية ومفاهيمها الاصلية بدعوى أن ما يقدم لها هو : فكر العصر ولغة العصر ، بينما يوصف الفكر الاسلامى بأنه القديم الذى تجاوزه الزمن وأن العودة اليه هى بمثابة الردّة والنكوص عن المعاصرة وهى مغالطة واضحة ، فإن هذا الفكر الغربى الوافد المعاصر ليس إلا فكرا غربيا خالصا مستمدا من قيم الغرب ومفاهيمه وعقائده وآدابه وأخلاقه وتقاليده ، وهو عصارة ذلك الخليط الذى تجمع فى الغرب من فلسفة

اليونان وفكر الرومان من ناحية ومن تراث اليهودية والمسيحية من ناحية اخرى وهو ما صهره الفلاسفة والمفكرون فى أيدلوجيتين عصريتين هما (الليبرالية والاشتراكية) فليس فى ذلك قديم وحديث ولكنه فكر مستقل ممتد من عصور ما قبل الميلاد حتى اليوم بما فيه من ركام وخلط واضطراب وما علاه من انحراف عن رسالة الدين الحق وغلبته روح المادية والاباحية وسيطرة النظرية الطبيعية التى تنكر وجود الله تبارك وتعالى والتى تضخم الحياة بمفاهيم الاستعلاء وسيطرة الانسان الأبيض وقدرته على صناعة الحضارة الاستهلاكية وما غلب على ذلك من إنكار وتجاهل للجوانب الروحية والمعنوية والدينية وسيطرة المفاهيم المادية التى أحدثت أزمة الانسان المعاصر وأزمة الحضارة وتفسخ المجتمعات نتيجة انهيار القيم الاخلاقية والاستغراق فى اللذات والجنس .

فنحن فى حاجة إلى أن نستكمل جوانب النقص فى ثقافتنا المعاصرة وفى مناهجنا التعليمية حتى يعرف شبابنا المسلم أن ما هو قائم بين يديه اليوم فى الصحافة أو التأليف أو مناهج الدراسة ليس هو فكرنا الأصيل وانما هو خليط من مفاهيم قاصرة أو محرفة من الفكر الاسلامى وقد سيطر عليها الفكر الغربى فأقام خليطا مضطربا فى مختلف مجالات العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق والسياسة والاقتصاد والتربية .

إن الاسلام عطاءه الواضح فى مختلف هذه المجالات ، وإذا كانت الثقافة المعاصرة تقدم وجهتى نظر الفكر الغربى فتقدم لنا التفسير الغربى الليبرالى للحياة والمجتمع والتاريخ والحضارة ، أو تقدم لنا التفسير الماركسى الاشتراكى حيث يتاح لهذين التفسيرين التنافس والصراع على حلبة الصحافة العربية والتأليف والثقافة والجامعات والمعاهد المختلفة ، حيث تدرس نظريات هذا الفكر بشقيه وحدهما دون ان يقدم (منهج الاسلام) فى هذه القضايا فإننا فى حاجة إلى أن نستكمل هذا النقص ، وأن يكون بين ايدينا ــ اليوم لا غدا ــ هذا المضمون الاسلامى قائما

واضحا بحيث يستطيع شبابنا المثقف ان يستحضره وهو يتناول هذه الدراسات وان يراجعه ويقارن بينه وبين ما يقدم اليه من مناهج وافدة .

ولا ريب أنه فى مجال حجب الثقافة الاسلامية ومفاهيم الفكر الاسلامى فإن هناك مغالطات وأكاذيب وادعاءات كثيرة تقال وهى تقدم شرائح منتزعة من الفكر الاسلامى بهدف ازدرائه وتصويره لشبابنا المسلم على أنه قاصر أو متخلف أو بدوى أو صحراوى على النحو الذى ظلوا يرددونه حتى كذبتهم الأحداث التى بين أيدينا الآن والتى سنقدمها لشبابنا المثقف ليرد بها على أكاذيبهم وليدحض هذه الدعوى .

وكل هدفنا من هذا العمل أن نسترد ثقة شباب الاسلام بمنهج الله وأن نقوى الايمان بصدق هذا المنهج وخلوده وظهوره على المناهج كلها ﴿ **ليظهره على الدين كله** ﴾ هذه الثقة وهذا الايمان بعظمة عطاء الاسلام : هو الهدف الحقيقى لهذا العمل الذى نطمع فى أن نحقق به بناء هذا السور الذى طالما تسلقه اللصوص من أجل أن ينتقصوا منهجنا أو يصوبوا لنا السهام ، ولقد كان واضحا أن شبابنا المسلم خلال هذه الحملة الحاقدة الماكرة الخبيثة التى تدار بروح من اللؤم والخسة ، والتى لا تعرف الاسلوب العلمى ولا الصدق ولا الوجهة الصالحة ولا الهدف الصحيح لخدمة هذه الأمة بدعوى أن أصحابها يقدمون لنا شيئا نافعا ، فأنت تقرأ هذه الكتابات فتراها تنضح بالخبث ، وتترلى بالمكر ، وتذهب هنا وهناك لتقتطع نصا ، أو تزيف حكما ، فإذا صححت لها خطأها ، أبت واستكبرت واستعلت بالإثم لأنها فى حقيقة أمرها لا تقصد وجه الله ولا وجه الوطن ، ولا تريد إلا ان تعكر الماء وتبلبل العقول ، وتثير الشبهات فى الصدور ، وتحاول أن تصادم ذلك الايمان العميق الذى ينبعث من قلوب غضة طاهرة ، صادقة الإيمان بدينها وعقيدتها .

لم يعد هناك سبيل حقيقى إلا أن نسدّ هذه الثغرة وأن نبنى هذا

الحائط ، ومن ثم يكون فى يد المثقف المسلم السلاح الحقيقى لمواجهة الشبهات ، والدليل الأكيد ، الذى غاب عنه فى مناهج الثقافة والصحافة والعلوم الجامعية التى صيغت على نحو يجعلها معارضة أو منافرة لحقائق الاسلام .

○ ○ ○



الباب الأول

تميز منهج الاسلام على المذاهب الوافدة

الفصل الأول : المحافظة على الذاتية الاسلامية .

الفصل الثانى : تميز الاسلام الخالص .

الفصل الثالث : الخصائص الاساسية لمنهج الفكر الاسلامى .

الفصل الرابع : منهج العلوم والمعرفة الاسلامى .

الفصل الخامس : خصائص الفكر الغربى : الفكر البشرى : الغربى والماركسى والتلمودى .

الفصل السادس : محاولة احتواء الفكر الاسلامى ومحاصرته .

الفصل السابع : حرب الكلمة .

الفصل الثامن : إنكشاف فساد نظريات ومناهج الغرب .

الفصل التاسع : مفاهيم اسياسية صححتها حركة اليقظة .



الفصل الأول

المحافظة على الذاتية الاسلامية
هى أكبر أهداف الصحوة الاسلامية

لا ريب أن اكبر اهداف الصحوة الاسلامية هى المحافظة على الذاتية الاسلامية التى هى فريضة من فرائض العقيدة والأمة وذلك بعد أن تبين أن الهدف الحقيقى من وراء المؤامرة التى تقودها القوى العالمية هى تذويب المسلمين فى الكيان الأممى والعالمى وكل هذه الدعوات من (الهوفنرم) الوحدة البشرية ، أو عالمية الحضارة ، أو الانفتاح والتقليح والتبادل الثقافى ما هى إلا كلمات خادعة يراد بها صهر المسلمين فى بوتقة الفكر الأممى .

هذه الذاتية الاسلامية التى كوّنها القرآن الكريم خلال اربعة عشر قرنا على نحو متميز ربّانى الوجهة إنسانى الغاية من أجل إقامة المجتمع الاسلامى وتبليغ رسالة الله إلى العالمين .

ولذلك فقد كانت المحافظة عليها من الانهيار أو التدهور أو الجمود او المداخلة ، أو الانصهار فى الفكر البشرى العالمى من الغايات الكبرى التى عاش لحمايتها وخدمتها وحراستها جماعة الأبرار من العلماء والدعاة ومن أجلها تحملوا عزم الأمور والصمود والصبر والمصابرة والمرابطة ، ونحن اليوم مطالبون بأن نصمد فى وجه كل هذه المؤامرات التى تستهدف الفكر والثقافة والتعليم لازالة (الهوية الاسلامية) وصهر الأجيال الحديثة فى بوتقة الفكر الأممى .

وهذا ما يسمى (الغزو الفكرى) طريقا إلى التغريب : وأبرز معالم المهمة التى يجب أن نحملها ونسير بها إلى غايتها هى اجراء عملية تأصيل واسعة لهذه النظريات والمفاهيم المطروحة فى أفق الفكر الاسلامى فى مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية والكشف عن مفهوم الاسلام فيها فضلا عن تقييم المرحلة التى سيطر فيها نفوذ الغزو الفكرى على ثقافتنا وآدابنا من منطلق واحد اصيل : هو أن للاسلام مقاييسه الواضحة فى النظر إلى أمور الثقافة والبحث العلمى والتاريخ ، وهى تختلف اختلافا واضحا عن مفاهيم الفكر الغربى المسيحى

واليهودى والماركسى والليبرالى جميعا .

إن مخطط التغريب والغزو الفكرى قد عمل على هدم هذه (الذاتية الاسلامية) بهدف تذويب هذه الأمة فى الحضارة العالمية وانصهارها فى الفكر الأممى ، وذهاب التميز الخاص الذى عرف للاسلام ، وهى المحاولة الخطيرة التى بدأها النفوذ الاجنبى قبل إنحسار سلطانه العسكرى والسياسى عن الأمة الاسلامية ، باعداد قواعد وقوائم وقادة ومنظمات ترعى هذا المخطط فى مجال السياسة والفكر من ناحية وعن طريق الصحافة والتعليم والاعلام من ناحية أخرى ، هذا المخطط الذى أعدته الدول المستعمرة قبل إنسحابها ليكون بديلا لنفوذها وهو ما أطلق عليه اسم الاستعمار الفكرى ثم صرف النظر عن كلمة الاستعمار وأبدلت بكلمة (الغزو) عملا على تخفيف وقعه على مظاهر التحدى باخفاء النفوذ الظاهر وراء كلمات مختلطة ، كمحاولة لاخفاء الانياب والاظافر القاتلة وراء قفازات من الحرير ، تحت اسماء الالتقاء بالفكر العالمى والتبادل الثقافى وترجمة روائع الأدب العالمى ، ودراسة قضايا الحضارة والاقتراب من روح العصر ، وخلق احساس بالاعجاب بالغرب والانتقاص من قدر عطاء الفكر الاسلامى وتراث الأمة فضلا عن إعطاء طابع الانبهار بالغرب الحاكم الآن والمسيطر بحضارته ونفوذه ، ومن هنا تنشأ فكرة التبعية والاقتباس والولاء للحضارة المنهارة التى تلفظ أنفاسها عن طريق أنها منطلق للنهوض .

فالمناهج الوافدة فى مدارسنا وثقافتنا توحى بأمرين :

أولا : أن هذه الأمة متأخرة ومصدر تأخرها دينها .

ثانيا : أن هذه الأمة لا تنهض إلا باقتباس اساليب الغرب وكلا القضيتين فاسدتين وظالمتين :

ووجه القصور : أن المسلم قد حيل بينه وبين تطبيق مفهوم الاسلام فى حياته الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية ، وان ما يجرى الآن هو

منهج آخر وافد ودخيل واليه يردّ الاضطراب وترد الأزمات والأخطار .

ذلك أن النفوذ الاجنبى المسيطر على موارد الاقتصاد ومصادر التمويل والاقراض وشراء الخامات ، مازال يحول بين الأمة الاسلامية وبين ارادتها وقدرتها فى بناء مجتمعها على اساس منهجها الربانى ومازال يفتعل الثغرات والالتباسات لينتقص هذا المنهج ويحول دون تطبيقه .

إن المسلمين لم يتعرفوا على ابعاد القيمة الحقيقية للاسلام والأسلوب الذى يعمل به المسلم لبناء مجتمعه وحضارته ، لأن هناك خلطاً شديداً فى الأوراق ، يحتاج إلى محاولة جادة فى التعرف على حقائق الاسلام وما يختلف فيه عن الفكر الوافد بعناصره المختلفة : اليونانية والمسيحية الغربية واليهودية التلمودية والماركسية الشيوعية . هذه الفجوة ، أو هذا النقص هو مصدر الأزمة الحقيقية للثقافة الاسلامية ، وهو موضع الخطر نتيجة خروج أجيال متتابعة وفق مناهج ملفقة أو ناقصة أو مضطربة على نحو يتصور معه المسلم : تاريخه ولغته وعقيدته وكأنها غير قادرة على العطاء الحق الذى يمكّن المسلم من امتلاك إرادته وبناء مجتمعه وتبليغ دعوة ربه ، ولو تكشف للمسلم المثقف حقيقة تميز الاسلام لزالت من نفسه هذه المشاعر التى تجعله معجبا بالفكر الوافد ، منتقصا لدينه وتراثه وأمته .

ومن هنا فنحن فى حاجة إلى الكشف عن عدة حقائق اساسية ، لتصحيح هذا الطريق وإثارة روح التقدير والاعجاب والاعتزاز بعقيدة الاسلام ولغته وتاريخه وآدابه وتراثه .

هذه الروح التى تمتلىء بالتقدير والحب لأمانة الاسلام من شأنها أن تدفع شباب هذه الأمة إلى الاعتزاز بالميراث وتقدير شأن المسئولية الملقاة على عاتقه وتفهم مدى العطاء العظيم الذى قدمه الاسلام للبشرية خلال اربعة عشر قرنا والذى مازال قادرا على تقديمه مرة اخرى اليوم للأمم العالمية التى تستشعر الاغتراب والعجز وتحوطها الأزمات

مدلهمة كقطع الليل المظلم فلا نجد لها مخرجا ، والمخرج منها قريب .

نحن فى حاجة إلى أمرين أساسيين :

اولا : الكشف عن الفوارق الدقيقة بين منهج الاسلام الربانى المصدر القادر على العطاء ، وبين المنهج البشرى المضطرب الذى تخترقه الأزمات وعوامل القصور .

ثانيا : تكملة ما ينقص المناهج الثقافية والتعليمية وتصحيح ما أخطأت فيه وهذه امور أصبحت من الضرورات ، إزاء نقص المناهج الثقافية والتعليمية وخطأ ما اورثته من المفاهيم المغربة المخالفة لمفهوم الاسلام وتجاهلها لوجهة النظر الاسلامية وعجزها عن تقديم حقائق الاسلام ، مما يتطلب التصدى لهذا العمل بحصر أكبر قدر ممكن من هذه النواقص والأخطاء والكشف عنها لتكون عاملا مساعدا للشباب المسلم المتطلع إلى فهم الحقيقة واستكمال ثقافته الاسلامية .

الفصل الثانى

تميز الاسلام الخالص

[ورث تراث النبوة وحمل لواء تصحيح الفكر البشرى]

منذ فجر التاريخ الانسانى وظهور الأنبياء المؤيدين بالوحى والحاملين إلى البشرية رسالة الله تبارك وتعالى بالدعوة إلى التوحيد الخالص وبالشريعة التى ترسم العلاقات بين البشر من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ وقد تشكل تراثين :

أولا : تراث النبوة التى قدم للبشرية طريق الخير والرحمة والتى تجمعت فى الرسالة الخاتمة .

ثانيا : تيار الفكر البشرى بوثنيته واباحياته وسمومه واهوائه ومطامعه ولذلك فقد كان تصحيح العقائد والقيم احدى مسئوليات النبوة ، وقد جدد الاسلام تراث النبوة كله فى القرآن ، وأورثه للمسلمين ، وقدمه مرة أخرى من خلال دعوة محمد ﷺ وعن طريق القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وأعلن القرآن صراحة (اولا) : أن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى فيه يختلفون و(ثانيا) أن هذا الكتاب نزل مهيمنا على الكتب السابقة ﴿ **وأنزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** ﴾ (المائدة) .

و(ثالثا) أنزل الله الاسلام ﴿ **ليظهره على الدين كله** ﴾ .

وقد نقل الله تبارك وتعالى النبوة من فرع اسحق إلى فرع اسماعيل بعد أن عجز اليهود عن حمل أمانة الرسالة وفرطوا فيها وصلى النبى ﷺ بالأنبياء كافة إماما فى بيت المقدس إيذانا بامامته العامة للأنبياء وميراثه لتراث النبوة السابق فى فرع اسحق .

وقد قدم القرآن الكريم صورة رائعة لتراث النبوة ولجهاد هؤلاء الأبرار الكرام من أنبياء الله ورسله وما قاموا به من دور فى هداية شعوبهم وما كان لهم من شرائع خاصة بأممهم ، حتى جاءت الرسالة الخاتمة التى حملها محمد ﷺ للعالمين وللناس كافة ومنذ نزلت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد وصف الحق تبارك وتعالى رسالة محمد ﷺ بأنها ﴿ **رحمة مهداة** ﴾ أخرجت الناس من الظلمات إلى النور ومن يقرأ

تاريخ البشرية خلال القرون الخمسة بين رسالة عيسى عليه السلام ورسالة محمد يعلم مقدار ما فى هذه العبارة القرآنية الكريمة (إخراج الناس من الظلمات إلى النور) من دلائل كبرى بعد أن اضطربت الحياة وخرجت دعوة عيسى عليه السلام إلى مفاهيم مختلفة قادها اليها القديس بولس الذى نقل الدعوة المسيحية إلى اوروبا وجعلها دعوة عالمية مستقلة عن اليهودية بينما هى آخر رسالات اليهودية وأن دورها فى عقد النبوات كما صوره سيدنا عيسى ﴿ **مصدقا لما بين يدىّ من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد** ﴾ .

وتلتقى الأديان المنزلة الثلاث الموجودة على وجه الأرض اليوم والتى هى امتداد لرسالة سيدنا ابراهيم عليه السلام (الحنيفية السمحاء) فى أولاده (اسحق) وهو ابو اليهود والنصارى ، واسماعيل وهو ابو العرب وجدّ سيدنا محمد ، التقت فى ثلاث :

(١) الإيمان بالله الواحد . (٢) الإيمان باليوم الآخر . (٣) الالتزام بالمنهج الذى يحكم سلوك الفرد والجماعة .

ويأتى بعد ذلك الخلاف فى التفاصيل من حيث أن العقيدة واحدة فى الأديان كلها والشريعة مختلفة بحسب الأزمان والبيئات حتى جاءت الشريعة الخاتمة ، وقد اقتضت إرادة الله تبارك وتعالى وحكمته أن تكون مسيرة البشرية إلى الله تبارك وتعالى فى مراحل هى : الأديان المنزلة ، كل منها يسلم إلى الآخر حتى ختامها ، وقد أخذ الله تبارك وتعالى العهد على كل نبى أو رسول إذا جاء محمد ﷺ أن يؤمن به ويتبعه ، وقد أشارت كل الكتب المنزلة من السماء وآخرها التوراة والإنجيل إلى رسالة محمد ﷺ الخاتمة وأخذ العهد على كل الأنبياء أنه إذا جاء محمد ﷺ أن يؤمنوا به ويتبعوه ولقد كان عقد الأديان واحدا متصلا تسلم كل حلقة منه إلى الحلقة الأخرى حتى اختلفت التفسيرات التى وضعها رؤساء الأديان والتى عزلت نفسها عن الدين الخاتم .

كذلك فقد كشف القرآن الكريم زيف الفكر البشرى ودعواته المختلفة سواء من نظريات الفلاسفة الباطلة أو تحريفات الأديان أو تكذيب الرسل أو ظهور الفساد فى البر والبحر وقدّم لها دحضا واضحا صريحا لمفاهيم الكفر والالحاد والاباحة والتثنية والوثنية والتعدد .

وقد كان هذا دعوة للمسلمين لتصحيح المفاهيم جيلا بعد جيل ولقد قام بهذه الرسالة على مدى العصور علماء المسلمين .

وكان من الضرورى ان تتجدد هذه الدعوة اليوم بعد أن جدد التلموديون والشعوبيون والعلمانيون هذا التراث البشرى الوثنى مرة أخرى ، وقدموه من خلال نظريات ومناهج وأيدلوجيات جديدة ، فنحن الآن نواجه مرحلة شبيهة بمرحلة العصر العباسى وترجمة الفلسفات وظهور عديد من مناهج الفلسفات الباطنية والمادية والاباحية بل ان هذه المرحلة التى نعيشها أشد خطورة لأن المسلمين فى المرحلة الأولى كانوا غاية فى اليقظة إزاء مؤامرات الفكر الاغريقى والوثنى والغنوصى وكانت إرادتهم حرة مطلقة فقد واجهوها بقوة وكشفوا زيفها ودحضوا سمومها ، أما نحن فقد قطعنا وقتا طويلا خاضعين للنفوذ الاجنبى وسيطرته حيث ترجم إلى لغتنا فلسفات ضالة وقصص إباحية وطرحت فى طريقنا مذاهب وأيدلوجيات من الشرق والغرب ، من ركام فلسفات الليبرالية والماركسية والاشتراكية والشيوعية والوجودية والفرويدية والاباحية وهى ليست فى حقيقتها إلا الفلسلفات القديمة : فلسفات الاغريق والمجوس والهندوس والتلمود مصوغة فى أساليب جديدة ، وليس عجيبا أن ترى رجلا مثل الدكتور (صبرى جرجس) المسيحى الذى عاش اكثر من خمسين عاما داعية لعلم النفس الفرويدى فى مصر ، فإذا به فجأة يكتشف أن هذا العلم الذى سارت به الركبان شرقا وغربا والذى فرضته المعاهد والجامعات كعلم اساسى وحقائق لا تقبل النقض — وليس كنظريات وفروض تخطىء وتصيب — هو منقول تماما وبالكامل من التلمود ومن فكر يهود لتهديم

البشرية وتدميرها ، وفجأة استفاق ضميره فكتب كتابه المعروف فى هذا المجال الذى هزّ دوائر التغريب فأخذوا يهاجمونه فى عنف ومضى هو فى هدوء يكشف لهم الحقائق ويبين بالاسانيد والأدلة العلمية : أن كل ما ادّعاه فرويد علما لم يكن إلا عصارة مرجل أحقاده واحقاد اليهودية العالمية على البشرية رغبة فى تدميرها ثم عرف بعد ذلك أنه كانت هناك علاقة بين ماركس من ناحية وبين هرتزل من ناحية ، وبين فرويد من ناحية ثالثة وأن هذه العلاقة عملت وان لم تتعاصر فى سبيل تحقيق الهدف الذى رتبته التلمودية لتهديم البشرية وإذلالها وسحقها وهو الهدف المسيطر الآن على المجتمعات الاوروبية بفلسفات الوجودية والتحلل والجنس .

هذا التراث البشرى ترونه واضحا فى :

١ ــ الفلكلور : وما اسموه التراث الشعبى .

٢ ــ فى ادعاء أن البشرية بدأت وثنية ثم عرفت التوحيد .

٣ ــ إحياء الأساطير (جلجامش وغيره) .

٤ ــ السحر والروحية الحديثة (تحضير الأرواح) .

٥ ــ فكرة السامية التى تحجب حنيفية ابراهيم عليه السلام .

٦ ــ فكرة الجنس فى التحليل النفسى وسيطرتها على السلوك الانسانى وضرب دعوات اخرى حاولت ان تجعل من الدافع الشخصى (ادلر ويونغ) واسقاطها لاعلاء دعوة فرويد .

٧ ــ نظرية دارون وأهدافها وتحولاتها من نظرية تطور بيولوجية إلى نظرية اجتماعية .

٨ ــ نظرية ماركس واعتماده على إفتراض علمى سقط .

وهناك ذلك التراث الباطنى الفلسفى الذى قدمه ابن سينا والفارابى والنصير الطوسى وغيرهم من أمثال نظرية العقول السبعة وغيرها وقضايا التصوف الفلسفى من أشياه قصة وحدة الوجود والحلول والاتحاد وما

كتب فى رسائل اخوان الصفا وغيرها ، وقد اقيمت على هذه الترهات مذاهب ودعوات باطلة أرادت أن تنال من التوحيد الخالص الذى جاء به الاسلام ومعه اسلام الوجه لله ، فلا تغرنك اشعار ابن الفارض ولا كتابات الحلاج وابن عربى فإنها تستقى من فلسفات اليونان والمجوس وتهدف إلى تزييف ذاتية الاسلام القائمة على التوحيد الخالص .

ولتحذر من مسألة الحب الالهى والعشق الالهى فهى سموم مركزة ذات اسماء لامعة ، فما هكذا يدور الحديث بين الانسان المخلوق وربه العظيم جل جلاله ، وأحطر ما فى التصوف الفلسفى قولهم بالجبرية واسقاط الفرائض المكتوبة ، واخطر ما فى مذاهب البهائية والقاديانية اسقاط فريضة الجهاد .

إن علينا اليوم ان نقلّب هذا التراث ونغربله ونحلله ونكشف زيفه وأن نعلن فى قوة وإصرار أننا لن نستسلم له ولن نقبل التبعية واننا نرفض هذه الدخائل ، ما أشد حاجتنا إلى التحرر من الإرث اليونانى الرومانى والإرث اليهودى المسيحى ، والإرث المجوسى الفارسى والفرعونى الوثنى .

لقد كانت حكمة الله تباركِ وتعالى فى تتابع الأديان : إرتقاء العقل البشرى حلقة بعد حلقة وعصرا بعد عصر حتى وصل إلى مرحلة الرشد الفكرى فجاء الاسلام ومن أجل ذلك اعتبرت كل الأديان السابقة له بمثابة تمهيد له ، ومقدمة ومدخل اليه ، وقد أشار الأنبياء فى الأمم السابقة إلى أن الغاية لا تتم ولا تتحقق إلا بمجيء النبى الخاتم والدين الخاتم ، وقد تميز الاسلام بميزات عدة :

اولا : تميز بأنه مطلق بالنسبة للجنس ، وللزمن ، وللمكان ، وللشخص ، فليس هو نسبة إلى أمة كاليهودية أو إلى نبى كالمسيحية .

ثانيا : شمولية النظرة إلى الوجود ، المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى ، الجزاء الأخروى والخلود ، ثبات القيم الأخلاقية والاجتماعية .

ثالثا : ارتباط الاسلام بتراث الحنيفية السمحة ، تراث ابراهيم ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا** ﴾ .

فكل ما كان من خير فى تراث الجاهلية فهو من عطاء نبوة ابراهيم عليه السلام .

رابعا : أخذ الاسلام من الفرس والروم تنظيمات وليس نظما ، ولقد رفض المفهوم الفارسى الاستبدادى والرومانى الاقطاعى والصوفية الهندية والفكر اليونانى والمنطق الارسطى .

خامسا : اعلن الاسلام الانقطاع الحضارى بينه وبين ما سبقه من وثنيات .

سادسا : غيّر مناهج الحياة والاجتماع وأقام نظاما جديدا .

سابعا : قدم للبشرية المنهج الكامل للتعامل مع الله من ناحية ومع المجتمع من ناحية اخرى .

ثامنا : أعاد الحياة للمستضعفين ونصرهم على الطغاة وأهلك الظالمين .

تاسعا : قدم للبشرية أعظم معطياته : اسلام الوجه لله والخضوع له وبناء مجتمعه والالتزام بالأخلاق والمسئولية الفردية والجمع بين عبادة الله والاستعانة به .

عاشرا : حرّر البشرية من مفهوم التجسيم فى مجال العبادة كما حررها من الاقتصار على المحسوس المادى .

كل هذا يجعلنا نؤمن بأن للفكر الاسلامى الذى نشأ فى ظل الاسلام مقاييسه الخاصة فى مختلف الأمور والقضايا وهى تختلف اختلافا واضحا عن مفاهيم الفكر الفردى لأنها مستمدة من القيم الاساسية للاسلام ، فما هى القيم الأساسية للاسلام ؟ .

الفصل الثالث

الخصائص الأساسية لمنهج الفكر الاسلامى

لكى نعرف مدى الفوارق العميقة بين الاسلام والفكر البشرى جميعا (اليونانى ، الرومانى ، المسيحى اليهودى ، الليبرالى الماركسى) يجب أن نعرف أن للاسلام منهجه الفكرى الخاص به والقائم على اصول واضحة تختلف اختلافا واسعا وعميقا عن الفكر البشرى .

هذا مع الإيمان الأساسى بأن لكل فكر منهجه وقيمه وعناصره التى يتكون منها وهى تقوم على العقيدة والمزاج النفسى والأخلاق والقيم واسلوب العيش ، التى بناها هذا الفكر فى نفوس أهله ومعتنقيه وبالنسبة للاسلام فقد أنشأ جذورا عميقة فى نفوس المؤمنين به ومن هنا كان له منهجه وقانونه ومنظومته الأساسية التى قد تلتقى مع الفكر الانسانى فى أصول عامة رئيسية مصدرها طبيعة الانسان نفسه ، ولكنها تختلف من حيث عقيدة هذا الانسان والتصور الذى أنشأته هذه العقيدة فى نفسه لمختلف جوانب الحياة والكون والمجتمع والحضارة .

وفى الأساس فإن الفكر الغربى يقوم على مجموعة من العناصر التى لا يلتقى مع الفكر الاسلامى فى واحدة منها ، فهو يقوم على تراث عميق من الفكر اليونانى (الوثنى) والفكر الرومانى (العبودى) والفكر المسيحى حسب المفهوم الغربى المختلف أساسا مع الدين المنزل فضلا عن التطورات التى حدثت فى فهم تاريخ اللاهوت والعلاقة بين اليهودية والمسيحية ثم بينهما وبين الاسلام وتاريخ الكتب المنزلة وما أصابها من اضطراب وما لحق بها من تفسيرات .

أما الفكر الاسلامى فيقوم أساسا على :

١ ــ القرآن الكريم : كتاب الله المنزل بالحق والموثق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٢ ــ السنة النبوية : والتى تشكل المنهج التطبيقى لمنهج القرآن وسيرة الرسول واعماله وما يتصل ببناء المجتمع الاسلامى والدولة الاسلامية .

٣ ــ ميراث النبوة المتمثل فى تراث الأنبياء من لدن نوح إلى محمد ، وخاصة تراث الحنيفية السمحاء (دين ابراهيم) المتصل بين الأديان الثلاثة القائمة الآن فى العالم والممتدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها هذا التراث الذى يمثل الإيجابيات الموجودة فى تاريخ ما قبل الاسلام .

ولا ريب أن هذه المنظومة الاسلامية بعطائها فى مختلف مجالات العقيدة والمعاملات والأخلاق وتاريخها وتطبيقاتها خلال أربعة عشر قرنا واتصالها باللغة العربية كلغة نزل بها القرآن ، والعرب كأمة حملت لواء الدعوة وسارت بها من حدود الصين إلى نهر اللوار ، هذا كله يؤكد الخلاف العميق والواسع بين النظرية والمنهجية ، فهذا مفهوم ربانى وهذا مفهوم بشرى وهو مختلف فى عدة أمور :

أولا : فى النظرة الجامعة بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة حيث يختلف هذا مع الانشطارية الغربية والايمان بالجانب المادى والمحسوس وانكار جانب الروح والمعنويات والغيب والآخرة .

ثانيا : فى الإيمان بوحدة البشرية [**كلكم لآدم وآدم من تراب**] حيث يختلف هذا مع مفهوم الغرب فى اعلاء العنصر والدم واللون .

ثالثا : فى الأخوة البشرية وعدم الأفضلية إلا بالعمل : [**لا فضل لأبيض على أسود ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى**] وهو فى هذا يختلف مع مفهوم الغرب فى إعلاء الجنس الأبيض صانع الحضارة الذى لا يغلب فى نظرهم والذى يستمد مفهومه من قانون الحضارة الرومانية البائدة : (روما سادة وما حولها عبيد) .

رابعا : شرعه التساوى بين الأمير والأجير فى العقوبة والجزاء : [**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**] .

خامسا : إقامة التعامل الانسانى على اساس (الأخوة العالمية) والتسوية بين الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم فى الحقوق والواجبات وليس على أساس الدماء والأعراق [**كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى إلا بالتقوى**] .

سادسا : المسئولية الفردية فى الحساب والجزاء ﴿ **وكلهم آتيه يوم القيامة فردا** ﴾ قرآن كريم .

ولا يقر الاسلام ما يسمى بمسئولية المجتمع أو المسئولية الجماعية كما يقرر الاسلام الالتزام الاخلاقى فى الحياة والمجتمع .

سابعا : ليس فى الاسلام طبقة تدعى (رجال الدين) لهم فى علاقاتهم بالناس حقوق ليست لغيرهم وإنما يوجد علماء متخصصون فى الدين .

ثامنا : أقام الاسلام منهج الثوابت والمتغيرات وإعلان ثبات الاسلام إزاء (١) الأخوة البشرية والعدل الاجتماعى (٢) إزاء تحريم الربا (٣) إزاء الالتزام الأخلاق والمسئولية الفردية (٤) إزاء محرمات الخمر والقتل والميسر والزنا (٥) إزاء فريضة الجهاد وذلك فى مواجهة نظريتى الثبات الدائم اليونانية ونظرية التطور الدائم الهجلية .

تاسعا : يقرر الاسلام فكرة تذليل الطبيعة لا تحدى الطبيعة كما يقول الفكر الغربى ، ويقرر الاسلام التقاء الأجيال لا صراع الأجيال كما يقول الفكر الغربى ، ويقرر التعاون فى الطبيعة لا الصراع ، ويقرر تكامل الطبقات وليس صراعها .

عاشرا : ليس الاسلام تصورا فلسفيا ولا تصورا ماديا ولكنه تصور انسانى جامع يقوم على التوحيد والأخلاق والإيمان بالله .

حادى عشر : حرّم الاسلام الربا والزنا والميسر وحرر المجتمع الاسلامى من شوائب الحرام جميعا وأقام حدودا إزاء هذه المحاذير لابد

أن تطبقها المجتمعات الاسلامية لحماية افرادها وهو فى هذا يختلف مع نظرية الحرية الفردية فى الفكر الغربى .

ثانى عشر : أقام الاسلام سننا للحضارات والأمم هذه السنن (القوانين) لا تتبدل ولا تتغير وهى التى تحكم حركة التقدم ﴿ **أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا** ﴾ وقد قرر الاسلام أن للمجتمعات نواميس ثابتة وأن الأمم إذا انحرفت عن وجهة الله سقطت وأن الترف هو أكبر عوامل انهيار الأمم وسقوطها ﴿ **فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا** ﴾ .

ثالث عشر : اعترف الاسلام بالرغائب البشرية وأباحها فى اطار الضوابط الشرعية والأخلاقية ، وقدر مدى الطاقة ولم يطالب بأكثر منها ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ وقرر الاعتراف بالخطأ والعودة إلى الحق متى تبين وطلب المغفرة من الله وقبل أمر المضطر ﴿ **فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه** ﴾ ودعا الاسلام إلى تهذيب مداخل الرغبات ومخارجها ودعا إلى الاعتدال فيها ، والوقوف عند الحد الذى لا يؤذى الفرد ولا المجتمع وأباح قسطا معتدلا من المتاع داخل ضوابط تحول دون تحطم الشخصية الانسانية .

وهو فى هذا يختلف اختلافا عميقا مع دعوة الفكر الغربى إلى الانطلاق والتحلل والجرى وراء الشهوات .

رابع عشر : لا يقر الاسلام مفاهيم الدعوات الهدامة المسمومة : كالحلول والاتحاد ووحدة الوجود والتناسخ والاشراق ويقر الفصل بين الألوهية والبشرية كما يقر الانفصال التام بين الله تبارك وتعالى والعالم المخلوق ويقرر الاسلام وحدانية الله وتفرده سبحانه بالحكم والأمر ولا يقر سقوط التكليف عن العباد مهما بلغوا أعلى درجات العبادة .

كما يقرر الاسلام العلاقة المباشرة بين الانسان وربه دون واسطة ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ .

خامس عشر : أقام الاسلام قاعدة (الانقطاع الحضارى) بين ما قبل الاسلام وما بعده فقد قضى الاسلام على مختلف مواريث الجاهلية المنحرفة عن التوحيد الخالص .

سادس عشر : حماية الضعيف والفقير وإعلان حق كل منهما فى مال الله وتحريم القضاء على المريض الميئوس منه وفى الاسلام : (الضعيف أمير الركب) وقد وضع الاسلام أساس الطب الرحيم بعد أن قاست البشرية من أهوال قتل المريض الميئوس منه وحرمان الفقير من حق العلاج [**إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور**] حديث شريف .

سابع عشر : فتح الاسلام الطريق أمام السعى والكسب على اساس :

(١) اكتساب المال من مصدر حلال وعدم اكتسابه من الصناعات المحرمة أو الأعمال المنافية للكرامة والرجولة .

(٢) أداء حق الله فيه . (٣) إنفاقه فى الوجهة الطيبة .

ثامن عشر : أقام الاسلام منهجه على اساس الرحم : الضعيف أمير الركب .

فى ضوء هذه الحقائق نستطيع ان نقرر فى وضوح بأن هناك خلافا واسعا وعميقا بين الاسلام والفكر الغربى بعناصره الليبرالية والماركسية واليهودية على النحو الذى نراه واضحا فى العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية والايدلوجيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفى مفهوم الحضارة والعلم .



الفصل الرابـــع

منهج العلوم والمعرفة الاسلامى

[التكامل بين القيم والمطابقة بين الكلمة والسلوك]

لم يعد هناك من يشك فى أن (الاسلام) هو الذى قدّم للبشرية منهج العلم جملة لأول مرة، كما يعرفه العالم اليوم القائم على: البرهان والتجريب والتحرر من الهوى والظن والتكامل بين القيم والتوازن.

كما قدم القرآن مقاييس (المنطق القرآنى) الذى يختلف اختلافا كبيرا عن منطق ارسطو واليونان ويتميز بالعدالة والاحكام. إن ابرز الأسس لمنهج العلوم والمعرفة الاسلامى هو: (تكامل القيم) والمطابقة بين الكلمة والسلوك (والمنهج والتطبيق) والوسائل والأهداف وهو ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر العربى الذى يقوم أساسا على الانشطارية وإعلاء كل عنصر على حدة والفصل بين الكلمة والسلوك وهى المنزلق الخطير الذى وقع فيه الفكر الغربى. كذلك فقد كان تذبذب الفكر الغربى بين نظريتى الثبات الكامل والتطور المطلق هى إحدى أزماته وخطاياه بينما قام الفكر الاسلامى على قاعدة الثوابت والمتغيرات.

فقد قرر الاسلام أسسا عامة فى هذا المجال ما تزال هى القاعدة الراسخة فى مجال الفكر والعلوم والثقافة والمعرفة جميعا.

اولا: دعا الاسلام إلى الجمع بين الثوابت والمتغيرات والربط بين العقيدة والأخلاق وعدم انقسام القيم إلى سياسية واجتماعية وتكاملها وفى الاسلام لا تناقض بين المثل الأعلى والواقع العملى للناس.

ثانيا: الربط بين المنهج والتطبيق (بين القول والعمل) وهذا هو المأزق الذى أفسد الحضارة الغربية ومزقها.

ثالثا: التوسط بين الميول (١) نحو الروحية والزهد من ناحية وعدم الاسراف فيه بالوصول إلى درجة الرهبانية. (٢) ونحو المادية والاستمتاع بطيبات الحياة وعدم الاسراف فيها بالوصول إلى درجة الاباحية.

رابعا: تكامل العناصر فى الوحدة الواحدة (لا إله إلا الله).

قرر الاسلام تكامل الأبعاد فى مختلف القضايا: وجعل لكل قضية وجهان مادى وروحى (الجزاء: مادى ومعنوى) (العطاء: مادى ومعنوى)

(التقدم : مادى ومعنوى) وهنا يختلف المفهوم العلمى الاسلامى الذى يقرر : أن لكل قيمة وجهان متكاملان مادى ومعنوى لا انفصال بينهما مع الفكر الغربى الذى يجعل لكل قيمة وجها واحدا فهو إما مادى أو معنوى وجعل للحضارة بعدان : البعد الربانى والبعد الانسانى . وتكامل الوجه الظاهر للفكر والاحساس وتكامل القوميات مع الاسلام ، وتكامل الوطنيات مع الاسلام على اساس أن يتحرك فى اطار الاسلام ، من حيث لا تتغلّب القوميات أو الوطنيات على الاسلام بل تتحرك فى اطاره .

تكامل العقلانية مع الوجدانية (الكلام والتصوف) دون استعلاء أحدهما .

تكامل القلب والعقل ، العلم والدين ، الروح والمادة .

الجمع بين المادى والمعنوى فى الوحدة الواحدة والجمع بين الجماعى والفردى فى مختلف مناهج الاقتصاد والاجتماع والسياسة .

خامسا : قيام قاعدة الثوابت ومن داخلها يجرى تحرك المتغيرات على قاعدة (الثوابت والمتغيرات) وقد أقر الاسلام ثبات الجوهر وتغير الصورة وثبات الهدف وتغير الوسائل . ويرفض الاسلام القول بالتطور فى مجال الأخلاق والعقائد لأنه يجعل من الدين مجموعة من المبادىء النسبية أى أنها لا تصبح حقائق مطلقة ويمكن ان تتطور وتتطور إلى ما لا نهاية .

ويجمع الاسلام بين حدس المتصوف ووجدان الشاعر وعقل العالم ولا يقر التفرقة والفصل أو التخصص بمفهومه الغربى ، ويجعل التخصص طريقا إلى التكامل ويجعل للمسلم الحق فى المعرفة الكاملة .

سادسا : قدرة العقيدة الاسلامية على تغيير آثار البيئة والوراثة وتحويلها إلى الخير وارتقاء بها إلى الكمال واستحالة خضوع الانسان لآثار البيئة خضوعا جبريا (كما تقول فلسفات الغرب) وقدرة الانسان

على الانتقال من مرحلة (الأنانية) إلى مرحلة (الغيرية) والخروج من اهواء النفس ومطامع الجسد إلى الالتزام بالحدود والضوابط التى حددها الدين الحق من أجل حماية الفرد وحماية المجتمع .

سابعا : إعلاء الاسلام لعمل الفرد الذى يكون موضع تقدير البطولة اساسا وليست البطولة فى الاسلام بطولة تماثيل أو اصنام .

ثامنا : الجمع بين الفردية والجماعية فى نظام المجتمع فقد دعا الاسلام إلى التغيير فِى اطار الثبات والتنوع فى اطار الوحدة .

تاسعا : ربط الاسلام بين الاسلوب العقلى والاسلوب الوجدانى وغلب بذلك على الاسلوب الكلامى او المنطقى أو الفلسفى لميزة اسلوب القرآن فى مخاطبة كل عناصر التلقى فى الانسان .

عاشرا : الربط بين الميراث والعصر ، وبين التراث والعصر وعدم قبول فكرة روح العصر الغربية التى ترمى إلى إعلاء العصر على القيم ، أو اخضاع القيم للعصر ، أو تبرير الاسلام لتحولات العصور .

حادى عشر : الالتزام بالضوابط والحدود التى حددها القرآن وقيام التكليف على المسلم فى حياته كلها فلا يسقط ابدا .

ثانى عشر : تحرك العلم وتحرك الحضارة وتحرك المجتمع فى دائرة المفهوم الاسلامى : المفهوم الربانى المصدر ، الانسانى الوجهة .

ثالث عشر : يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال : اعرف الحق تعرف اهله .

رابع عشر : الانسان عقل وقلب ، وتفكير وعاطفة ، وإلغاء احدهما خروج على الفطرة وعكس لطبيعة الاشياء ، والنظرة الاسلامية تقوم على اقتناع العقل وتصديق الفكر وتتمثل فى غذاء القلب وطمأنينة الروح .

إن الفكر الاسلامى تقوم قاعدته الاسلامية على التكامل بين العلم من ناحية والمطابقة بين الكلمة والسلوك ولا يفصل بينهما . ويتميز الفكر الاسلامى بطابع ذاتى خاص لا يقبل الامتزاج أو الانصهار فى الفكر

البشرى لأنه أوسع أفقا منه (من حيث إنشطارية الفكر البشرى وقصوره) كما يتميز بالتفتح القادر على تقبل تجارب الأمم دون أن يسيطر عليه وإنما تكون معطيات الحضارات والثقافات العالمية بمثابة (مواد خام) ينتفع بها المسلمون فى دائرة فكرهم وأسسه الأصيلة الحقيقية .

والفكر الاسلامى مركّب من عناصر ، يتكامل بها حتى يرسم صورته الكاملة والسياسة والاجتماع والاقتصاد كلها عناصر منه .

وقد فرق الاسلام بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية التى ليس لها أى قيمة إلا أن تكون ترفا أو للزينة فقط وقد أُعطى الاسلام تراث النبوة كله ، الذى انتقل جملة إلى المسلمين كما راجع علماء المسلمين تراث البشرية العلمى والفكرى وغربلوه وكشفوا أخطاءه وقبلوا منه وتركوا ، وما قبلوه أضافوه إلى مادة فكرهم فلم يخضعوا له ولم ينصهروا فيه .

خامس عشر : العقل والعقلان .

حدّد الاسلام موقفه من العقل فجعله (مناط التكليف) وجعله تحت ضوء الوحى وقرر الاسلام ان العقل غير كاف ولذلك فقد احتاجت البشرية إلى نبىّ روحى ، وقد حرر الاسلام العقل من التبعية والتقليد ومن التجسيم والاقتصار على المحسوس وفتح له آفاقا واسعة من المعرفة وقال الامام الماوردى : إن تسمية العقل تشبه بعقل الناقة لأن العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته كما يعقل الناقة عن الشرود عقالها ، (اذا عقلك عقلك عما لا ينبغى فأنت عاقل) وقرر الاسلام عدم تناقض صحيح المعقول مع صريح المنقول والاسلام لا يقر الرأى القائل بأن المعرفة الانسانية قاصرة على معطيات الحواس أو نتاج أساليب الفكر وإنما هى أوسع من ذلك وقد اعطى الاسلام للعالمين منهجا كاملا عن (الميتافيزيقا) عالم الغيب . واصحاب العقول محكومون بغرائزهم واهوائهم لا يقفون عند حدود معينة ، وقد جاء الدين عونا للعقول على حسن القول وعصمة لها من الزيغ والانحراف ، جاء بالهداية التى عجزت

العقول أن تصل اليها بنفسها .

سادس عشر : منهج المعرفة .

وقد أقام الاسلام منهج المعرفة ذى الجناحين : المادة والروح ، ودعا إلى البرهان والدليل ونها عن تحكيم الهوى والعصبية فى الكشف عن الحقيقة وأعطى العقل الانسانى مهمته وحدوده وقدرته وجعله خاضعا للوحى ، والمعرفة الاسلامية روح وعقل . كذلك فقد دعا الاسلام إلى عدم الانخداع بالأوهام وسؤال أهل الذكر ، وعدم القول بغير دليل ونها عن التقليد .

وأمر بعدم كتمان العلم ودعا إلى إذاعته وبثه فى الناس وأخذ الميثاق على من يعلم أن يتبين ما يعلم للناس واطلق حرية البحث وجعل السلطان للحجة البرهان ودعا إلى التحرر من التبعية والتقليد ، وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وفرض على الأمة أن ترتب أقواما لتعليم الناس وحث على العناية بتنمية العقل الانسانى وفضل العلم على العبادة وجعل العلم هو كل العلم : علم الدنيا وعلم الدين وأعلن انه لا تعارض بين أن يكون الانسان حر الفكر وأن يكون متدينا والعلم فى الاسلام يزكو بالانفاق وحث على الاجتهاد وقرر ان للمخطىء أجران إذا أصاب وأجر إذا أخطأ ودعا إلى عدم الانخداع بالأوهام ، أو قبول الظن ودعا إلى استعمال العقل وسؤال أهل الذكر .

والاسلام هو الذى أخرج العالم كله من دائرة المنهج اليونانى القياسى وهو الذى هداهم إلى إنشاء المنهج التجريبى بالنظر فى الكون والتأمل فى الكائنات ومعرفة أسرار الوجود .

وكذلك لم يعرف الاسلام ذلك الانفصام الذى عرفه الفكر الغربى والثقافة الاوربية بين الفكر الفلسفى والفكر الدينى ، أو بين العلم و الدين أو بين العلم والأدب ، أو بين الفكر المادى والفكر المثالى .

سابع عشر : الاسلوب العلمى الحديث هو أحد أساليب التعبير

لا هو كلها ولا هو غيرها ، وانما هو اسلوب تقتضيه حالة عصر ما ، كما اقتضت غيره حالة عصور فهو ليس اسلوبا عاما ولا يستطيع البقاء وإنما الاسلوب الخالد الباق هو (اسلوب القرآن) .

ثامن عشر : لا يمكن أن تؤخذ العلوم من الغرب على انها التطبيق الوحيد وما يؤخذ من الغرب يجب أن يكون بمثابة مواد خام يشكلها المسلمون فى دائرة مفهومهم للعلم وعلينا أن نحترز نحن المسلمين أتباع محمد ﷺ من أن نحتوى فى دائرة التكنولوجيا العالمية فننصهر فيها ونكون جزءا من هذا النظام العالمى التقنى والاقتصادى ذلك لأن لنا فى الاسلام مفهوما مختلفا بعيدا عن الاحتكار والربا والعنصرية وإعلاء شأن الجنس الأبيض والسيطرة على الآخرين ، إننا نرغب فى أن نترجم العلوم إلى اللغة العربية أولا ثم نشكلها فى دائرة فكرنا واطار مفهومنا للعلوم ، ليس فيها استعلاء ولا تسلط ولا تحيز لجنس أو طائفة وإنما يكون ملكا للبشرية جميعا وهى ليست من ناحية اخرى مهددة للكيان البشرى بالذرة أو غيرها ولكنها للأمان والنماء والخير .

إن هناك محاولات لاحتواء المسلمين فى دائرة العلوم الحديثة والتكنولوجيا حتى لا تكون لنا حضارتنا المستقلة فإذا قبلنا ذلك ضاعت ذاتيتنا وانصهرنا فى بوتقة حضارة تلفظ أنفاسها الأخيرة ، ونحن نؤمن بأن العلم التجريبى هو مسلك الانسانية كلها وأن الطريق إليه ميسور وأن تملّك المعارف والتقنية هو واجب حتمى على كل أمة تريد أن تدفع عن نفسها غوائل التخلف ولكن هل يعنى هذا أن تتخلى الأمة عن قيمها وعقائدها واخلاقياتها وتراثها تحت ضغط الدول المسيطرة ، للسماح لها بالدخول فى دائرة التكنولوجيا . هل فعلت ذلك اليابان بل هل فعلته اسرائيل ؟ إذن فلماذا المسلمون وحدهم هم الذين تحاصرهم القوى العالمية حتى لا يتمكنوا من بناء مجتمعهم واستئناف حضارتهم ؟

تاسع عشر : إن الاسلام قد رسم دائرة حرية الفكر فحرية الفكر

للانسان هى أن يكون حر الفكر فيما يختاره من دين فإذا ما انتهى اقتناعه إلى دين فعليه أن يلتزم به ولا يحتج بآية ﴿ **لا إكراه فى الدين** ﴾ فالمقصود هو أنه لا إكراه فى اعتناق الدين أما حين يتدين فيجب أن يحترم اختيار عقله ويلتزم بأحكام دينه .

حرية الفكر هى حريته فى أمر أباح الشارع الحكم فيه أما حين ينص الشرع على قواعد واضحة فإن المسلم يجب ان يلتزمها ، نحن نعرف أن حرية الفكر هى مصيدة التغريبيين الذين يحاولون أن يحتموا بها لإذاعة فكرهم الإباحى والالحادى ولكن فى هذه الحالة لا يقر الاسلام تجاوزاتهم .

عشرون : خطأ مقايسة التفسيرات الاسلامية على الفكر الغربى إن علينا أن لا نحاكم القيم والمفاهيم الاسلامية على مناهج الغرب ذلك لأن هذه المناهج قامت فى وجه جمود الفكر الدينى الذى عارض تقدم العلم فى الغرب ، ومن هنا فقد يظن أن الدعوة إلى العودة إلى المنابع أو السلفية الاسلامية من شأنها أن تتطابق مع ما حدث للفكر المسيحى فى الغرب وهذا مختلف تماما ؛ إن الاسلام هو الذى أنشأ المنهج العلمى التجريبى وفتح باب العلم والتجريب ولذلك فمن غير المعقول أن يكون خصما له .

لقد تأكد اليوم بأكثر من دليل أن الغرب أخذ قاعدة التجريب كاملة من المسلمين ، وقبل نظريتهم فى اتخاذ العلم وسيلة لتذليل الطبيعة والعمران . والمسلمون هم واضعوا قاعدة : جرب واحكم وهم دعاة النظر العقلى وحرية الارادة ، والملاحظة والتجريب .

وقد قام المسلمون باستيعاب القديم وتصحيحه ، وإضافة ماقبلوه إلى منهجهم الربانى القرآنى فى النظر والبحث .

وكان لهم موقفهم من الترجمة .من التراث القديم (اليونانى ـــ الفارسى) الخ . (١) تصحيح ما واجهوه (٢) اشتقاق المصطلحات

العربية الأصيلة (٣) الميل إلى الحرية والتسامح (٤) الجمع بين فروع العلوم والمعرفة (٥) بناء ذلك كله على قاعدة التوحيد الخالص والبعد الربانى للمجتمعات والحضارة والتماس رضوان الله فى اقامة منهجه فى الأرض .

وهناك حقيقتان فى هذا الشأن :

الأولى : أن اوربا لم ترتق إلى العلم إلا بعد الانفصال عن الدين بينما أن العلم لم يظهر فى الاسلام إلا نتيجة لدعوة الاسلام نفسه ﴿ **قل انظروا ماذا فى السموات والأرض** ﴾ .

الثانية : أن واقع المسلمين اليوم ليس حجة على الاسلام .

واحد وعشرون : ان المسلمين حين ترجموا الفلسفات والعلوم اليونانية وقفوا منها موقفا حاسما فى ضوء مفهوم الاسلام للنظر إلى الفكر الوافد :

اولا : لم يقبلوا جميع المعارف التى وصلت اليهم بل أجروا عليها الاختبار وأبانوا وجوه الخطأ فى بعضها وصححوا أقوال جالينوس وابقراط وارسطو وافلاطون التى كان موثوقا بها إلى حد التقديس .

ثانيا : النظر إلى أصحاب الديانات الأخرى نظرة كريمة فقد اعتبروا هؤلاء جماعات لها الحق فى أن تحيا حياة كريمة فكان لموقفهم القائم على التسامح مع مختلف الطوائف أثره فى تقدم المسلمين وقد شجع على الاسهام فى حركة النهضة ، فضلا عن أن هذا التسامح الذى لقيته الفئات المختلفة التى كانت تحيا فى ظل المسلمين انشأ علما جديدا هو علم مقارنة الملل (ابن حزم والشهرستانى والنوبختى والمسعودى والبيرونى) .

ثالثا : وضعوا القاعدة الاصيلة للروح العلمية : الانصاف من النفس وقبول علم الغير والسعى وراء المعرفة من أجل المعرفة لا من أجل النفع المادى الذى يحصل من ورائها .

رابعا : بعد وضع قاعدة التجريب لأول مرة بايدى علماء المسلمين

كان المسلمون هم : أول من اعتبر هذه العلوم علوما قائمة بنفسها (علم المثلثات ، تاريخ الطب ، التاريخ «ابن خلدون» ـــ محمود زايد) .

وقد شهد الجميع للمسلمين بأنهم كانوا أساتذة أوربا فى جميع فروع المعرفة (سيديو) وقد أطلق ماكس فانتاجو على الحضارة الاسلامية اسم (المعجزة العربية الاسلامية) وقد كانت أبحاث المسلمين التجريبية هى مصدر يقظة الغرب وقد درست علوم المسلمين فى الجامعات الاوربية منذ القرن الثانى عشر الميلادى . وقد جمع الملوك الاوربيون علوم المسلمين وكتبهم ومخطوطاتهم واشاعوها فى الجامعات الغربية ، وان قاعدة التكوين الثقافى لروجر بيكون كانت دراسة لمؤلفات المسلمين ولا سيما ابن الهيثم والبرونى والمسلمون هم الذين عرفوا ذلك المزج التربوى السليم بين الثقافة الانسانية والروح الهامة ، وبين الثقافة العلمية التجريبية وانهم بذلك وضعوا العلوم المختلفة مكانها الصحيح واظهروا تفاعلها وبينوا اهميتها التربوية الكاملة (ياسين عبد الصمد عمر) .

خامسا : قال إقبال : إن حضارة الاسلام تتمثل فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك** ﴾ فهى توفيق بين العقل والعاطفة والوحى والعلم وبين المادة والروح .

سادسا : ان الكشف عن جوهر الفكر الاسلامى استمدادا من القرآن والسنة ووصولا إلى بناء المنهج التجريبى ومنهج المعرفة ذى الجناحين وعطائه الباذخ الذى أنشأ الحضارة الحديثة ، إن هذا حقيقة واضحة أنكرها الغربيون وأخفوها وأخفوا من أجلها ربع مليون كتاب مخطوط من التراث الاسلامى ، وهى التى تتبدى اليوم وتتكشف على نحو واضح ، إن هذه الحقيقة حين تتأكد فى النفس المسلمة للشباب المثقف تعد قيمة حقيقية لبناء الثقة فى عقيدتنا والإيمان فى منهجنا إيمانا بالاسلام قوة باذخة للقوة والكرامة ، وتأكيدا لقدرة هذه الأمة المسلمة على أداء الجولة الأخرى للحضارة الاسلامية العالمية بمفهوم القرآن والسنة المطهرة .

الفصل الخامس

الفكر البشرى (الغربى والماركسى والتلمودى)



يتمثل الفكر البشرى فى جماع عناصر الفكر الغربى المسيحى والماركسى والليبرالى والوثنى والعلمانى والتلمودى الذى يتحرك على الساحة العالمية اليوم تحت اسم الفكر الانسانى أو العالمى أو الأممى وهو فى اصوله الأولى خليط من بعض ما حملته رسالات النبوات السابقة (اليهودية والنصرانية) ثم اختلط بالفكر الوثنى اليونانى والرومانى وهو ما يسمى بالفكر الهلينى من ناحية وبالفكر الغنوصى الشرقى الباطنى والمجوسى وقد ظهرت اليوم حقيقة اساسية معترف بها فى مختلف دوائر الفكر العالمى وهى : أن الكتب المقدسة القديمة قد أصابها التحريف بالحذف والاضافة وأنها ليست الكتب المنزلة من السماء (وفى هذا المجال نستعرض ما كتبه الدكتور موريس بوكاى فى كتابه «الكتب المقدسة والعلم» هذا الفكر البشرى الذى تتموج به دراسات الجامعات والصحف ودوائر الثقافة فى العالم الاسلامى هو من الفكر الوافد عن طريقين : عن طريق التيار الليبرالى الديمقراطى الرأسمالى المتمثل فى اوربا الغربية والولايات المتحدة على اختلاف يسير فى الفروع ، والفكر الماركسى الاشتراكى الذى يتمثل فى الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية وما يتصل به من مذاهب الاشتراكية الديمقراطية فى بعض البلاد التابعة للفلك الشيوعى) .

يقوم الفكر الغربى المسيحى على مجموعة من النظريات التى نادى بها فلاسفة كانوا فى الحقيقة ثمرة للصراع الذى دار بين الكنيسة وبين العلماء التجريبيين ومن ثم نشأت (الفلسفة المادية) التى حاولت ان تقيم منهجا للحياة والمجتمع والحضارة خارج نطاق الدين المسيحى وكان المسيطر على هذه الحركة التى اطلق عليها (حركة التنوير) مجموعة من الفلاسفة اليهود الذين كانوا يعملون على تدمير المسيحية أساسا .

ففى (الاقتصاد) ظهرت نظرية روبرت أوين وماركس وانجلز .

وفى (النفس) ظهرت نظرية فرويد .

وفى (الاجتماع) ظهرت نظرية دوركايم .

وفى (التربية) ظهرت نظرية ديومى (عزل الدين عن التربية) .

وفى (السياسة) ظهرت نظرية ميكافيلى ثم نظرية البرجماتية (فلسفة الذرائع) .

وفى (الفن) ظهرت نظرية الفن للفن .

وفى (البيولوجيا) الانسان والقرد من اصل واحد (دارون) .

وفى (الفلسفة) ظهرت نظرية الوضعية المنطقية (اوغست كونت) والجدلية (هيجل) .

وفى (الأدب) ظهرت المسرحيات والنصوص الجنسية والاباحية واحياء الأساطير اليونانية .

وفى (الاجناس) استعلاء الجنس الأبيض وانتقاص الاجناس الملونة .

وفى (القانون) ظهرت القوانين الوضعية المبررة للربا والزنا .

وفى (التطور) ظهرت نظرية دارون .

وفى (الاخلاق) ظهرت نظرية النسبية .

ومن ثم اصبحت الحياة تفسر تفسيرا ماديا صرفا وطغى التفسير المادى للتاريخ فسيطر على المنهجين الغربى والماركسى ، وطغى مصطلح (لا إله والحياة مادة) كما طغى مفهوم (موت الآلهة) وأصبح الدين (أفيون الشعوب) واصبحت القيم مجرد انعكاس للوضع الاقتصادى واصبحت الأخلاق غير ثابتة بثبات قيم الدين الحق ، بل متغيرة بتغير المجتمع الصناعى ، واصبحت الأسرة نقيض الفطرة والجريمة هى الفطرة والدين والأخلاق قيم غير اصيلة فى الحياة واستغل الفكر الغربى هذه النظريات كلها فى خدمة هدفه الاستعمارى وخاصة نظرية دارون ونظرية الأجناس ونظرية فرويد ، وأصبحت دراسة الأجناس (الانثروبولوجية) من علوم الاستعمار التى أريد بها إعلاء عنصر واحد على جميع العناصر ، ودراسة تراث الأمم القديمة البشرى الساذج دون عطاء

(النبوة الأصل) على مدى الأزمنة والعصور والثبات ، ومن ذلك التركيز على الأدب الشعبى والاهتمام بالعامية وغلبت على الفكر الغربى مفاهيم مسمومة شكلت طابعه وجوهره الذى صدّر إلى البلاد الاسلامية لتدمير مفهومها الأصيل ومنهجها الربانى وقد واجهت حركة اليقظة الاسلامية هذه المفاهيم وكشفت زيفها .

اولا : مفهوم الحرية الفردية ، وحرية الغريزة وانطلاق الشهوات والأهواء ، وتوجيه السلوك الانسانى على أساس الغريزة وتمجيدها ومناقضة العقل ، وهذا ما يرفضه الاسلام تماما .

ثانيا : القول بتطور الدين وملاءمة العصور ، وهذا تبرير غربى لعجز الفكر البشرى عن الاستجابة لمتغيرات الزمن ، ومن هنا كانت دعوتهم إلى الاضافة والحذف ، بينما لا يعرف الاسلام فكرة التطوير إلا فى الوسائل المؤدية إلى إبراز ثوابت الاسلام .

ثالثا : عبادة المال والقوة والسلطان والحضارة والعنصرية والعلم وهى الوثنية الجديدة .

رابعا : فكرة أن الفرد لا قيمة له ولا معنى للتشبث بالحرية الفردية وان القيمة كلها للمجتمع الذى يخلق الأديان والعقائد والقيم الروحية وكلها عبث لا قيمة لها ما لم تكن نظاما من نظم الاجتماع وهى الفكرة التى حملت لواءها مدرسة العلوم الاجتماعية (دوركايم) والتى نقلت آراء ماركس من مباحث الاقتصاد أو السياسة إلى مباحث الأخلاق .

خامسا : اكذوبة الانسان الأبيض هو تاج الخليقة وان الغلبة له فى كل صراع عبارة شباينك ، وقد اثبتت الأبحاث العلمية انعدام وجود تميز فى الجماجم البشرية بين أهل الشمال واهل الجنوب .

سادسا : فكرة (علم الأديان المقارن) وهى ترمى إلى هدم مفهوم الدين الحق المنزل من لدن نوح إلى محمد ﷺ فهى تقول ان الأمم بدأت وثنية ثم عرفت التوحيد فى اليهودية وهو قول معارض للحقيقة التى

تثبتها كل الدلائل التاريخية .

سابعا : نظرية ان الأديان تنبت من الأرض ولم تنزل من السماء وانها ظاهرة من الظواهر الاجتماعية . وهى نظرية باطلة .

ومن ذلك نظرية أن الدين علاقة بين الانسان والله ، فالاسلام يقرر أن للاسلام جانبان : علاقة الانسان مع الله تبارك وتعالى وعلاقته مع المجتمع .

ومن ذلك نظرية ان الدين مانع من الرق والتقدم وهى نظرية وضعت فى مواجهة المسيحية الغربية ولم يعرف قائلها شيئا عن الاسلام .

ثامنا : القول بأن هناك مفهوم واحد لتفسير التاريخ هو التفسير المادى وهى نظرية باطلة فقد ثبت أن هناك عناصر كثيرة غير الاقتصاد والمادة تفسر حركة التاريخ وأن الاقتصاد ليس هو العنصر الأول .

تاسعا : نظرية الجبرية المادية التى تقول أن الانسان ليست له إرادة ، وهى نظرية تتعارض مع قوة الانسان المريدة الفعالة فى هذا الكون والاسلام لا يؤمن بالجبرية ولا يقر فكرة : أن المسئولية هى مسئولية المجتمع ويقرر أن للانسان ارادة هى موضع حسابه وعقابه .

ولما كانت الداروينية تقرر أنه لا مجال للارادة الحرة للانسان فقد أيدها اليهود لفرض الجبرية التى تمثل هدفهم فى هدم الانسان ، وقد رفضوا نظرية لامارك لأنها تجعل للارادة الحرة مجالا ، كذلك فهم قد أيدوا الفرويدية لأنها اعتمدت مفهوم الجنس كمصدر لكل تصرفات الانسان وعارضوا مذاهب اخرى فى التحليل النفسى تقول بالرغبة فى التفوق الانسانى . كذلك أيدوا التفسير المادى للتاريخ الذى جاءت به الماركسية على نظريات اخرى لهذا الغرض .

عاشرا : لا يقر الاسلام فصل الدين عن الدولة . وتلك نظرية غربية محضة جاءت بناء على ظروف الخلاف بين الكنيسة والعلم ، وكانت فى نفس الوقت هدفا من أهداف الصهيونية تحول بينهم وبين تسنم

كبريات المناصب وكانت الكنيسة هى نطم الوحيد الذى يسيطر على المجتمع والتربية وقد أراد اليهود بذلك إلغاء الهوية الدينية وابراز الهوية الوطنية والقومية حتى يتمكنوا من كسر قيود حصارهم فى الجيتو وهدم قرارات الكنيسة بمنع المجتمع المسيحى من التعامل معهم .

حادى عشر : أخطأ الغرب فى دعواه أنه سيد التاريخ البشرى وأن حضارة اليونان فى القديم وحضارة الغرب تمثل حضارة البشرية الواحدة مع التنكر لحضارة الاسلام التى قامت ألف سنة خلال العصور المظلمة الأوربية ، ولا يقر الاسلام أن يبدأ التاريخ من الغرب لأنه يملك اليوم مقدرات العلم والحضارة ولا أن يسمى الأسماء مرتبطة به كقولهم الشرق الأوسط وغير ذلك .

ثانى عشر : أخطر معطيات الفكر الغربى : الانحلال والفساد الاخلاق .

كان التحول الخطير الذى وقع فيه الفكر البشرى من الفكر المسيحى إلى الفكر التلمودى الإباحى خلال عصر التنوير فى اوربا وهو عصر سيطرة اليهود على الفكر والحضارة الغربية وهو العصر الذى يصفه (ول ديورانت) بأنه أعلى قمة بلغها التاريخ الانسانى ، هذا التحول هو هدف كبير من اهداف التلمود وبروتوكولات صهيون وهو تدمير الشخصية الانسانية واشاعة روح الانحلال فى الأميين (الجويم) ، هذا الفكر البشرى الذى تشكل فى خلال فترة ما بين نزول الأديان يتمثل فى التركيز على مطامع النفس البشرية وأهوائها ومحاولتها الخروج عن أصول الدين الحق وقد قام اساسا على : (الاباحية — الالحاد — المطامع والأهواء) .

وأساسه النظرية المادية التى أوجدت التحليل النفسى القائم على الجنس وما كان لها من آثار عميقة فى القصة والرواية والأدب والفن ، نتيجة تحليل النوازع والغرائز والكشف عن ملابس الانسان وتعريته كحيوان وقد ظهر ذلك واضحا فى :

١ ــ مادية علم النفس ــ فرويد .
٢ ــ مادية علم الاجتماع ــ دوركايم .
٣ ــ الترجمة الذاتية ــ تعرية البطل والكشف عن جوانب النقص فيه .
٤ ــ نظرية التفسير المادى للتاريخ وإنكار البطولة والبحث عن العورات .

وكانت قصة الاباحية فى الأدب الغربى عملية خطيرة انتجت آثارا بعيدة المدى هى ما يطلق عليه اليوم (روائع الأدب الغربى) على أساس :
١ ــ أن الجنس عملية بيولوجية لا علاقة لها بالأخلاق .
٢ ــ أن الدين علاقة شخصية لا صلة لها بواقع الحياة .

والواقع أن روائع الأدب الغربى التى يتحدثون عنها لا تمثل إلا شيئا واحدا هو الاتجاه الجنسى العنيف وثورة الجنس والدعوة إلى إعطاء الشهوة منطلقها دون النظر إلى أي حدود أو ضوابط أو خلق . وأن كل الروايات العالمية الخالدة تمثل هذا المنطلق . وأن أوسكار الذى تتسمى باسمه الجوائز العالمية فى المسرح اليوم هو كاتب القصص التى أدت إلى سجنه لخروجه عن الأخلاق حسبما صور نفسه فى كتابه (فى أعماق السجون) وكذلك أخرج اليهود كل الروايات الفاضحة وأعادوا نشرها بعد أن غيروا اعراف المجتمع المسيحى الغربى . وفى علم النفس إنتصرت نظرية الجنس الفرويدية على كل النظريات الأخرى وعلت صيحة (عبادة الجسد وتقديس الشهوة) المأخوذة من الفن اليونانى الاغريقى القديم وترجمت آلاف القصص المكشوفة إلى الأدب العربى وكذلك مذاهب الوجوديات الحديثة هى تعبير فكرى ونفسى وأخلاقى عن الفراغ الروحى المخيف الذى يجتاح النفس الانسانية فى الغرب وأخطر ما تقول المذاهب الاجتماعية (التى وضعها اليهود فى مجال العلوم الانسانية) أن الأخلاق ليست قيمة ذاتية ولا هى ثابتة على وضع معين وإنما تأخذ صورتها فى المجتمع الذى توجد فيه وان المجتمع هو الأصل فى كل

الظواهر الاجتماعية وليس الانسان ، ولا ريب أن طرح هذه المفاهيم واستمراريتها عن طريق الصحافة والكتابة والاذاعة المرئية وتطعيمها القصص والمسرحيات والافلام السينمائية هى من أخطر المحاولات التى ترمى إلى جعلها مسلمات فى نظر الشباب المسلم وفى نظر المسلمين الذين لم يحصلوا على قدر كبير من الثقافة الاسلامية الاصيلة .

والهدف هو نفى القداسة عن الدين والأخلاق والتشكيك فى قيمتها ولهذا أثره الواضح فى المجتمع : ذلك الأثر الهدام للمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى وهو ما قدمته فلسفات دارون ونيتشة وماركس وسارتر وفرويد ودوركايم .

ومن أهداف هذه الفلسفات المادية تغليب فكرة التطور الدائم وهدم فكرة الارادة الانسانية بتغليب مفهوم القهر الداخلى الذى يقهر الفرد على غير رغبة منه وكذلك التفسير المادى والاقتصادى والجنسى للانسان والاستشهاد بعالم الحيوان فى دراسة الانسان — الذى يختلف خلقا وطبيعة وتكوينا — وكل هذا يستهدف المجتمع البشرى لتدميره وللقضاء على الأسرة ونظام الزواج كما يرفض الفكر الاجتماعى الغربى : نظرية الانسان وفطرية الأديان وفطرية الأسرة ويرى أن القيم والعقائد الروحية المعنوية التى قدمتها الأديان لا قيمة لها وأن الفرد لا قيمة له ولا معنى للتشبث بالحرية الفردية ، وانما يرى أن القيمة الحقيقية هى للمجتمع الذى يخلق الأديان والعقائد .

ومن سموم هذه المدرسة دعوتهم إلى أن المجرم مريض يحتاج إلى العلاج وليس مسئولا عن جرائمه وهى دعوة تلمودية تعارض مفهوم الثواب والعقاب الذى جاء به الدين الحق كذلك فإن القول بمسئولية المجتمع عن انحرافاته وليس هناك مسئولية على الفرد هى دعوة تلمودية غالية .

وقد أدت هذه الفلسفة الاجتماعية الخطيرة التى اعتنقتها أوربا واعتنقها الغرب (ليبراليا وماركسيا) والتى صنعها اليهود التلموديون لتدمير العالم إلى

اقتران الانحلال الخلقى بموجة الالحاد فى العقيدة تحت اسم العلم وحرية البحث ، وهى التى تدفع موجات الفساد والحرام ، وقد انتقلت هذه الموجات إلى المجتمع الاسلامى وتدرّس فى جامعاته ومعاهده على أنها علوم اجتماعية ونفسية واخلاقية وحقائق علمية بينما هى فى حد ذاتها ليست إلا نظريات وفروض قابلة للخطأ والصواب وأن الذين قدموها لهم هدف معلن على حد اشارتهم إلى ذلك فى البروتوكولات بأنهم هم الذين (رتبوا نجاح دارون وفرويد وماركس ..) الخ .

وتجتاح المجتمع الاسلامى اليوم موجات كثيرة من الفكر الوافد وخاصة موجة الاسرائيليات الجديدة بعد الاسرائيليات القديمة وهى التفسيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع والحضارة على أساس سموم الفكر اليهودى .

وقد أعطى ذلك للفكر الغربى والأدب الغربى ــ الذى يترجم إلى اللغة العربية دون تحوط أو اشارة إلى محاذيره : طابع الانهزامية واليأس والتشاؤم مما يؤثر فى الوجهة النفسية الاسلامية التى قامت على أساس الايجابية المتفائلة برحمة الله وذلك نتيجة مفهوم (الخطيئة الأصلية) التى تسربت إلى الفكر الاوربى من المسيحية الغربية .

وقد وجد هذا الفكر معارضة من كثير من فلاسفة الغرب انفسهم ولكن موجة دفع هذا الفكر بواسطة اصحاب المطامع لتدمير البشرية ما تزال أقوى من صوت الحكماء .

فقد أشار (برجسون) إلى أن الذهن البشرى وحده لا يستطيع فهم حقائق الحياة واشار (توينبى) إلى الحضارة المتدهورة التى لا يمكن انقاذها إلا بالدين لأنها مصابة بالخواء الروحى (ولكن أى دين) ! .

وكشفت الأبحاث الجادة كثيرا من المحاذير التى يندفع اليها الفكر الغربى من ذلك : أن ميدان النفس الانسانية لا يمكن ان يخضع للمقاييس المادية التى تخضع لها العلوم التجريبية ، ففى الشخصية

الانسانية كثير من التفلت من المراقبة واكثر الناس علما بأحوال النفس قد عجز عن استطلاع اسرارها فضلا عن أن عالم النفوس حافل بالغوامض والاسرار ، وقد تبين أن مذهب علم النفس الفرويدى ومفاهيم المدرسة الاجتماعية جميعها هى دعوة إلى الجبرية والقضاء على الارادة الانسانية الحرة وفصل العلم عن التطبيق .

ومع ذلك فقد كان للنفوذ الغربى آثاره البعيدة فى اندفاع التغريبيين أتباع الفكر الوافد إلى اذاعته ونشره فى مختلف مجالات الثقافة والتعليم والصحافة حتى خُدع به كثيرون وخضع له الأكثرون .

الفصل السادس

محاولة احتواء الفكر الاسلامى ومحاصرته



إستطاع النفوذ الغربى أن يسيطر على المجتمعات الاسلامية وأن يفرض عليها فكره ومفاهيمه وأن يحجب فى نفس الوقت قيم الاسلام وقوانينه فى فترة وصل فيها المجتمع الاسلامى إلى حالة من الضعف اعجزته عن المقاومة ولكن لما كان الاسلام قادرا على مواجهة الحصار فقد انبعثت من أعماق المجتمع قوى قادرة على المعارضة والمواجهة والمقاومة لم تلبث أن كشفت من فساد الفكر الغربى وتعارضه مع مفاهيم الاسلام .

وقد استطاع المسلمون خلال أربعة عشر قرنا مواجهة الأخطار الوافدة وأن يدفعوا عن انفسهم موجات التقليد والتبعية وخرافات الأمم القديمة ومواريث الفلكلور والسحر والأساطير .

وبذلك استطاعوا ان يبقوا المفهوم الاسلامى نقيا نقاءاً تاما من كل ما يتصل بالوثنيات أو الخرافات .

كانت محاولة إحتواء الفكر الاسلامى ومحاصرته ترمى إلى :

أولا : تحطيم قدرة الأمة الاسلامية على المقاومة والمواجهة للعدو .

ثانيا : تحطيم وحدة الأمة الاسلامية بالتفرقة بينها والدعوى إلى نزعات تاريخية قديمة سابقة للاسلام كالفرعونية والفينيقية ومحاولة احيائها .

ثالثا : إثارة الفرق القديمة والنحل والخلافات القديمة بين الأديان والقوميات والمذاهب .

وقد تركزت هذه الحملات على :

١ ــ احياء النزعات السابقة لما قبل الاسلام وعزل الفكر والثقافة والأدب عن مسارهم التاريخى وارتباطهم الأصيل .

٢ ــ محاولة إخراج اللغة العربية من مفهومها الأصيل فروض مناهج علم اللغات للتحكم فيها وهى مناهج لا تنطبق أصلا على الفصحى من حيث أنها ليست لغة قومية خالصة وإنما هى لغة الف مليون من

المسلمين ، لغة فكر وثقافة وعقيدة ومن ذلك محاولة تبسيط اللغة العربية وخلق ما يسمى باللغة الوسطى بهدف ابعادها عن بيان القرآن .

٣ ـــ اثارة نظرية الشك الفلسفى لبلبلة الافكار واحياء الاعتزال والفلسفات والاسرائيليات والدعوات الباطنية وفلسفة اخوان الصفا .

٤ ـــ الدعوة إلى نبذ الماضى ، نبذ التراث ، نبذ التاريخ ، نبذ القديم كله وهى محاولة إلى هدم الاسلام من خلال عبارات غامضة ومن العجب أن الدعوة إلى نبذ الماضى الاسلامى تدعو إلى إحياء ما قبل الاسلام وإلى احياء تراث الفرس القديم واليونان .

٥ ـــ الدعوة إلى الفصل بين القيم وهى ظاهرة غربية مسيحية يهودية ، أما الاسلام فهو دعوة إلى تكامل القيم . والفكر الغربى يدعو إلى فصل الدين عن المجتمع ، والأدب عن الفكر ، والعروبة عن الاسلام ، والدين عن العلم .

٦ ـــ الدعوة الانسانية الزائفة المستمدة من تولستوى وغاندى بالاستسلام وعدم المقاومة وهى دعوة تختلف مع مفهوم الاسلام الجامع بين الاستعداد بالقوة وعدم استعمالها فى الظلم أو الاعتداء .

وبالجملة فإن الهدف هو صرف المسلمين عن منهج حياتهم الأصيل الذى تعارفوا عليه وعاشوا به عمرهم والذى حقق لهم النصر عند الأزمة والفرج بعد الشدة والخروج من الاحتواء والتخلص من السيطرة الخارجية ، وقد لفت القرآن الكريم نظر المسلمين إلى هذا الخطر ودعاهم إلى كسر قيد هذه المحاولة والاهتداء للعوامل الحقيقية التى عرفها المسلمون للوحدة بمقاومة خصوم الدعوة عن طريق منهج القرآن ونور الاسلام للخروج من المأزق وذلك إيمانا بأن رسالة الاسلام مدعوة لتنقذ العالم مرة أخرى بعد أن سقط فى براثن الوثنية المادية والانهيار الخلقى .

إن اخضاع المسلمين للغزو الفكرى يعمل أساسا ليس فقط على

قبول الفكر العلمانى الاباحى المتحلل المادى الوثنى ، ولا قبول الحضارة الغربية والقيم التلمودية ولكن على قبول مفاهيم اليهودية فى الاجتماع والأسرة والشباب والمرأة من حيث إنطلاق الحرية الشخصية والتجاوز عن الالتزام الأخلاق وبذلك نقبل الوجود الصهيونى فى فلسطين والقدس وتنصهر الأمة الاسلامية فى المفهوم الصهيونى الذى يحمل مقاييس مختلفة للحرب والسلام إعتمادا على تفوق مؤقت لإسرائيل فى البلاد العربية .

ويجب أن يكون واضحا : أن من اكبر أهداف النفوذ الاجنبى :

اولا : تلك المحاولة التى جعلها فوق كل مؤامراته والتى اعطاها اهتماما كبيرا وحشد لها مختلف الوسائل والأدوات وهى : تعميق العنصرية والاقليمية وصراع القوميات وكان الهدف الأساسى فى تركيز النفوذ الأجنبى يقوم اساسا على تمزيق الوحدة الاسلامية التى كانت اكبر المطامع قبل وصول النفوذ الأجنبى .

ومن هنا فقد ركزت تلك القوى على مصدر الوحدة وهو الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية بمجهود ضخم .

ثانيا : العمل على تحطيم الشباب المسلم وتدمير القيم الأخلاقية كوسيلة إلى هدم الأمة وذلك ببث وسائل التحلل والاباحة والفساد التى ترمى إلى تحطيم الأسرة والمجتمع وتغليب الفردية على الجماعية وازاحة الضوابط أمام عوامل المعاملات الاقتصادية والمالية وخلق روح الفتور والانعزال عن المجتمع ، وبث طابع السلبية وإسقاط فريضة الجهاد والفصل بين العقائد والأخلاق وتوهين الالتزام الأخلاق وفهم الاسلام فهما عباديا منفصلا عن تكامله كدين ونظام مجتمع .

ثالثا : التعليم هو الخنجر الذى طعن به المسلمون فى كل المقاتل :

١ ــ فرض القانون الوضعى بدلا من الشريعة الاسلامية .

٢ ــ سيطرة الاقتصاد الغربى بشطريه على الاقتصاد الاسلامى .

٣ ــ سيطرة النظام السياسى الغربى .
٤ ــ سيطرة مفاهيم القومية والاقليمية والوطنية والعنصرية على مفهوم الإخاء الاسلامى .

وقد عمد النفوذ الأجنبى فى سبيل تثبيت سيطرته إلى خلق أجيال مؤمنة بمفاهيمه فى الداخل وارسال بعثات لتلقى هذه السموم فى الجامعات الغربية تعود لتتولى مقاليد القيادة الفكرية والسياسية .

ومن أبرز التحديات التى تواجه الفكر الاسلامى :

ــ جبرية وافدة من مفاهيم التصوف الفلسفى والفكر الباطنى والوثنى .
ــ تغريب قادم مع الفكر الوافد .
ــ شعوبية متحركة من الداخل تمثل أولياء التغريب والشيوعية وخصوم الاسلام واعدائه .

وفى محاولة احتواء الفكر الاسلامى ومحاصرته :

١ ــ هذه الحملات المسعورة ضد الشريعة الاسلامية .
٢ ــ هذه المحاولات لتوزيع كتب مدسوسة على الأديان لخدمة الماسونية وفروعها (الروتارى والليونز) .
٣ ــ جمع المعلومات عن البلاد الاسلامية وتهريبها خارج بلادها .
٤ ــ كتب الفلسفات فى المدارس التى تتبنى الرؤية الغربية وتمتلىء بالتعقيدات وتشرح بإفاضة مفاهيم الباطنية وفلسفات الحلول والاتحاد ولا تشير إلى مفاهيم الاسلام إلا إشارات قليلة من خلال اسماء من لا يعتبرهم الاسلام ممثلين له وهم من اتباع مدرسة المشائين اليونان .
٥ ــ الدعوة إلى استخدام الشريعة فى تبرير انماط الغرب الفكرية والاجتماعية .
٦ ــ تقديم صورة البطل الغربى كمثل أعلى لاطفالنا : (السوبرمان وجيمس بوند وطرزان) .
٧ ــ فتح ابواب المسارح على هذه القصص المسمومة الوافدة من

الغرب سواء من المسرح اليونانى أو مسرح العبث أمثال يونسكو وبكيت وغيره .



الفصل السابع

حـــرب الكلمـــة

من أوائل من تنبه للخلافات الواسعة بين الاسلام والفكر الغربي هم قادة الحملات الصليبية وفى مقدمتهم القديس لويس التاسع الذى هزم فى المنصورة والذى قال : إن فريضة الجهاد الاسلامية هى من أكبر العوامل المؤثرة فى قدرة المسلمين على المقاومة وأن على الغرب إذا أراد الانتصار على المسلمين أن يستعمل (حرب الكلمة) بدلا من حرب السيف وان يؤول هذه الفريضة على النحو الذى قالت به بعد ذلك البهائية والقاديانية وقد كانت هذه الملاحظة الخطيرة هى : منطلق العمل التبشيرى الاستشراق الذى ركز على تغيير مفاهيم الاسلام الأصيلة وتزيينها باقتطاع النصوص وسوء التأويل ، لإثارة عوامل الشك والانتقاص فى نفوس المسلمين لدينهم وعقيدتهم ، وإشرابهم مفاهيم وافدة من شأنها أن تقضى على عوامل القوة والصمود :

اولا وفى مقدمتها : التقليل من شأن تقديرات العوامل الروحية والمعنوية وغلبة التقديرات المادية ، ومن اخطرها تقديرات الحرب مع العدو حيث أصبح المسلمون يقايسون عوامل الصدام مع العدو بالتقديرات المادية من عدد الأنفس والأسلحة والقوات ، وهى نزعة لم يعرفها المسلمون الذين كانوا يؤمنون بقانون : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ . وفى عشرات من المعارك الحربية كان المسلمون أقل عددا وعُدداً من عدوهم ومع ذلك فقد انتصروا إنتصارا حاسما وتفوقوا لأنهم كانوا يؤمنون بعقيدة الاسلام فى أن الايمان والفداء الذى عرفه المسلمون فى معاركهم عامل ضخم يضاف إلى عامل الأسلحة والأدوات فيتفوق به المسلمون على عدوهم ؛ هذا القانون الذى يجعل من الايمان والفداء وبيع النفس لله عاملا مكملا للنقص فى العدد والعُدد ومحققا للتفوق والنصر .

هذا وهناك قوانين كثيرة كانت تحكم حياة المسلمين أخذ المسلمون يعرضون عنها تحت تأثير غلبة القيم والمفاهيم المادية التى طرحتها

الحضارة الغربية فى مختلف مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع .

وهذا هو ما يطلق عليه اسم : (الغزو الفكرى وصولا إلى التغريب) فالغزو الفكرى يرمى إلى فرض سيطرة مفاهيم وافدة على الفكر الاسلامى يختلف مع روحه وجوهره بهدف إذابة المسلمين فى حضارة المستعمر وفكره .

ثانيا : وقد استطاع الغزو الفكرى فرض النموذج الغربى فى الحياة الاجتماعية بفساده وانحرافاته وماديته وكان من أخطر ما حاوله هو اصطناع بعض تفسيرات الاسلام لتبرير هذا الواقع وقبوله ومن ثم كان ذلك عاملا على حجب قانون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى هو قاعدة اساسية من قواعد الاسلام ، والتى تطالبنا بتصحيح الواقع المنحرف وإعادته إلى طريق الله تبارك وتعالى وأن على المجتمعات أن تلتزم طريق الله وتصلح من نفسها لا أن يبرر الاسلام واقعها الفاسد المنحرف .

ثالثا : محاولة فرض مفهوم العلمانية على المجتمع الاسلامى ، الذى ينادى بفصل الدين عن الدولة . وقصره على العلاقة بين الانسان والله (تبارك وتعالى) وهو ما يعرف فى الغرب (باللاهوت) وبعض الأديان هى كذلك ولكن الاسلام يختلف ، فهو دين عبادة ودين شريعة وأخلاق فى نفس الوقت وقد ظهرت فكرة العلمانية فى اوربا نتيجة عدة عوامل منها : موقف رجال الدين من النهضة ومعارضتهم للكشوف العلمية ومنها هدف اليهود من القضاء على سلطان المسيحية فى المجتمع الغربى وبذلك تتاح لهم السيطرة السياسية ومن هنا يبدو ذلك البغض الشديد للدين فى فلسفات عدد من الفلاسفة أمثال نيتشة وماركس وفرويد .

وقد تأثر العالم الاسلامى والفكر الاسلامى بظلال هذه النظرية وهذه الدعوة وكان للبعثات التبشيرية والارساليات وسيطرة النفوذ الاستعمارى على مناهج التربية أثره العميق فى إعلاء هذا الاتجاه وتعميقه بعد عزل

الاسلوب العلمى الذى يتمثل فى المدارس والجامعات الاسلامية القديمة .

لقد وقف الغرب بالعلمانية ضد أشياء كثيرة عزلها عن المجتمع وأهمها الترابط بين الدين والدولة ، وبين الدين والمجتمع وبين الدين والأخلاق وبين الدين والقومية .

أما نحن فى مجال الاسلام فالأمر يختلف تماما .

فالاسلام ليس دينا بمفهوم اللاهوت ولكنه منهج حياة ونظام مجتمع وعلاقته ذات طرفين أو جناحين بين الله تبارك وتعالى والانسان وبين الانسان والمجتمع ، وهو الذى صنع الدولة فلا خلاف معها وهو الذى بنى المجتمع وانشأ الانتماء والأخلاق جزء منه ومن هنا لا تجد العلمانية فى مجتمعنا ما يؤيدها . لقد كانت المسيحية مجموعة من الوصايا لأنها تابعة للدين الموسوى فلما انفصلت ارادت أن تنشىء نظاما اجتماعيا فأنشأت مفهوما بشريا ضاق عن الاحاطة بنظام الله تبارك وتعالى الجامع ومن هذه النقطة بدأت كل ازمات الحضارة الغربية والفكر الغربى .

وفى مواضع كثيرة من القضايا الاجتماعية يبين هدف الغزو الثقافى الذى كان منطلق الغرب إلى تغريب المسلمين . والتغريب فى ابسط مفهوم هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب ومحاولة غرس مبادىء التربية الغربية فى نفوس المسلمين حتى يشبوا مغربين فى حياتهم وتفكيرهم وحتى تجف من نفوسهم موازين القيم الاسلامية .

ويستهدف تحقيق ذلك ايجاد شعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامة ، وذلك بإثارة الشبهات وتحريف التاريخ الاسلامى ومبادىء الاسلام وثقافته وإعطاء المعلومات الخاطئة عن أهله وانتقاص الدور العظيم الذى قام به فى تاريخ الثقافة الانسانية ومحاولة إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية التى تتمثل فى ماضى هذه الأمة مع

توهين القيم الاسلامية والغض من قدرة اللغة العربية وتقطيع أوصال الروابط بين الشعوب العربية والاسلامية . ومن مخططات التغريب الحيلولة دون قيام وحدة الفكر التى هى مصدر وحدة الأمة ، ومنها بلبلة العقول والنفوس بعشرات من المذاهب والدعوات وتجميد الفوارق الثقافية والاقتصادية فى الأمة الواحدة بما يحول دون قيام الوحدة الجامعة .

وحركة التغريب دعوة كاملة لها نظمها واهدافها ودعائمها وتخدمها مؤسسات مختلفة : أهمها مؤسستى التبشير والاستشراق .

ولقد أصبح المسلمون اليوم على وعى كامل من محاولة التغريب وهى حمل المسلمين على قبول ذهنية الاستسلام والاحتواء والذوبان فى الغرب واخراج المسلمين من دائرة قيمهم وتحريف القيم الاسلامية ، وأصبحوا قادرين على كشف هذه المؤامرة ، وقد عرفوا أن من اخطر ما يواجه المسلمين هو الدخول فى مواجهة مع عدوهم من خلال مفاهيمه الوافدة .

ولقد كان من اكبر آثار التغريب والغزو الثقافى إثارة الالتباس بين القيم المتكاملة من خلال مفهوم الغرب الانشطارى . ولم يتوقف الغزو الفكرى عند تزييف مفاهيم الاسلام ، بل عمد إلى إثارة الفكر الباطنى والشعوبى والفلسفى القديم وإعادة احيائه بهدف تمزيق مفهوم الأمة الاسلامية الجامع .

الفصل الثامن

انكشاف فساد نظريات ومناهج الغرب

كان من أعظم ما حققته حركة اليقظة الاسلامية أمران :

الأول : تأكيد دور المسلمين فى بناء الحضارة العالمية والعلم (وهو ما كان يتجاهله الغربيون ولا يزالون يتجاهلونه) .

الثانى : انكشاف فساد نظريات ومناهج الغرب التى طرحوها فى وجه الفكر الاسلامى ولعل أعظم ما يحقق فى هدا هذه المؤتمرات العالمية التى جمعت اساطين الباحثين والتى كشفت أخطاء ما طرحته النظريات والفلسفات .

وفى أربع مؤتمرات متوالية خلال السنوات العشر الأخيرة هاجم الباحثون الأعلام (١) الفلسفات (فى مؤتمر باكستان) (٢) علم النفس الفرويدى (٣) دارون ونظرية التطور (٤) التفسير المادى للتاريخ .

وتوالت كتابات كثيرة تتساءل عن مصير علم الاجتماع وهل هو علم استعمارى ؟ وفى مؤتمر تونس (يناير ١٩٨٥) من أجل علم احتماع عربى : ذكر أحد الباحثين أن اميل دوركايم ، قال في مجلة عام ١٩١٥ : كما أن نهر السين يفصل باريس شمالية وباريس جنوبية فإن البحر الأبيض المتوسط يفصل فرنسا الشمالية عن فرنسا الجنوبية ، وذلك تدليلا على أن علم الاجتماع ولد ونما كعلم استعمارى وأنه من واجب العرب تخليصه من هذه الخلفية الاستعمارية العنصرية لاستخدامه فى تنمية المجتمع العربى وأن على العرب بناء علم اجتماع عربى يكمن فى وضع أصول تنبع من صميم همومنا القومية .

وإذا كان بعض الاقليميين قد دعوا إلى علم اجتماع عربى فإن الباحثين المسلمين قد سبقوا منذ عشر سنوات إلى بناء علم اجتماع اسلامى وعلم نفس اسلامى وأدب اسلامى .

وقد واجه الفكر الاسلامى كثيرا من المسلمات الغربية التى تعد من اساطين الفكر الغربى وكشف زيفها واعلن انه لا يقبلها ولا يستسلم لها .

اولا : رفض الفكر الاسلامى فكرة الرهبانية والهروب من الحياة

والسلبية والانطوائية وموقف التفسيرات الدينية الغربية من الرهبانية والمرأة والغريزة وهو مصدر رد الفعل الذى ساقته نظرية فرويد بدعوتها إلى الجنس مصدرا لتصرفات الانسان .

ثانيا : رفض الفكر الاسلامى فكرة الثبات الدائم التى دعا اليها دارون وارسطو ورفض فكرة التحول الدائم التى دعا اليها (هيجل) وما نتج عن ذلك وقدم الاسلام فكرة (الثوابت والمتغيرات) الجامعة .

كذلك رفض الفكر الاسلامى نظرية ديوى بأن غاية التربية ليست الأخلاق وانما الملاءمة بين الفرد والمجتمع .

ثالثا : رفض الفكر الاسلامى فكرة الاستقلال بين الدين والعلم ، والقول بأن الدين ميدانه العقيدة وان العلم موضوعه استغلال قوى الطبيعة وقرر الاسلام ان الانسان يجمع بين الايمان بالدين بالقلب والايمان بالعلم بالعقل وان العلم يجب ان يتحرك فى دائرة الايمان بالله وإخلاص الوجه له واقامة المجتمع الربانى فى الأرض .

كما رفض الاسلام فكرة الوصل بين الايمان والمعرفة وان الدين يتحقق بالاعتقاد (الايمان) والمعرفة وان العقل يختص بالمعرفة لا الإيمان .

رابعا : رفض الفكر الاسلامى فكرة الماركسية التى تقول بأن الفرد نتيجة منفعلة وليست بسبب فاعل فى الحوادث التاريخية ويقرر أن الفرد فاعل ومحرك للتاريخ .

خامسا : رفض الاسلام المنهجية الجدلية الماركسية التى تصور الحياة الانسانية في صراع تراه اساس الحركة والتغيير والتطور ، ويقرر الاسلام تلاقى العناصر وتعاون العناصر وتكاملها لا صراعها .

سادسا : عجزت كلا الايدلوجيتين : الماركسية والليبرالية أن تقدما للمسلمين والعرب منهجا صالحا للتطبيق وقد لقيتا صعابا شديدة فى القبول فى مواجهة الفكر الاسلامى الذى استمد مضمونه من منهج

محكم ربانى تعجز أى المناهج البشرية ان تقتحمه أو تسيطر عليه ، وأن هذه المناهج حين طرحت نفسها فى أفق الفكر الاسلامى فإنها سرعان ماكشفت عن نقصها وعجزها عن العطاء الذى كانت تتطلع اليه النفس الاسلامية من خلال مفهومها الجامع المحاكم الذى أمدها به الاسلام منذ اربعة عشر قرنا والذى مهما حجب عنها فإنه قائم فى أعماقها .

سابعا : لا يقر الاسلام نظرية الغرب فى الخضوع لروح العصر ولا يقر مفهوم الانشطارية ولا يقر إخضاع العلوم الانسانية للتفسيرات التجريبية .

ثامنا : كان أخطر ما اصاب الفكر الغربى هو ذلك الانفصام الحاد بين العقل والروح من جهة والانطلاق الغريزى وقد رده العلماء الغربيون ومنهم وليم جيمس إلى تجاهل الفرد غريزة التدين وإنكارها وعدم إعطائها حقها وتجاهله لأهميتها ووظيفتها والدور الذى يقوم فى السلوك الانسانى وقد بين أن الإلحاد إنما ينبعث من العقائد التى تصدم الفطرة وتعارض العقل وتصادم طبائع الاشياء ، والإلحاد فى رأي أكثر مفكرى الغرب يرجع مصدره الى تعقد اللاهوت المسيحى واستحالة قبوله عقليا فى مفهوم التثليث والصلب والخطيئة .

تاسعا : (١) تبين عجز النظرية البشرية فى عدم القدرة على استيعاب العصور والبيئات ومصدرها فى مرحلة من عصر او بيئة (٢) وكذلك عجزها عن العطاء فسرعان ما يصيبها العطب نتيجة متغيرات الزمن والبيئة (٣) وظهور طابع الهوى والمطامع البشرية الخاصة كذلك فقد كشفت حركة اليقظة عن مجموعة اخرى من الحقائق :

الأولى : قدرة الاسلام على الانبعاث من الداخل فى أوقات الازمات وتحدى العدو .

الثانية : إن العرب لا يقادون ويخضعون ويتحضرون إلا بنبوة وولاية دينية أو استمداد منها ، وعجز محاولات الغزو عن اجتياحهم أو

حصارهم. لأنهم لا يقادون فى أي نهضة أو اصلاح إلا فى ظل الدين الالهى الصحيح الذى كان دائما أعظم قوى الدفع لحركاتهم التاريخية والحضارية الكبرى على مدى العصور .

الثالثة : لا سبيل إلى دمج الثقافة الاسلامية والثقافة الغربية أو صهر المفاهيم الاسلامية داخل إطار وافد مهما جرت المحاولات ووصل الاغراء غايته والاحتواء منتهاه .

الرابعة : يختلف الفكر السياسى الاسلامى عن جميع التيارات السياسية الأخرى فهو يرفض التقاليد الاوروبية فى تعصبها للفردية ويرفض الماركسية فى تأكيدها لسيادة العنصر الاجتماعى وإلغاء الفرد ويرفض النازية أو الفاشية كنتيجة لمبالغتهما فى تأكيد العنصرية ومن هنا يتميز الفكر السياسى الاسلامى : (اولا) بالطبيعة الأخلاقية (ثانيا) بالتوفيق بين الفردية والجماعية (ثالثا) عالمية وشمول النظرة إلى الانسان بغض النظر عن جنسه ودينه .

الخامسة : مفهوم التقدم فى الاسلام ، مفهوم جامع (مادى ومعنوى) وليس تقدما ماديا خالصا والنجاح المادى يقره الاسلام ويرتضيه ولكن لايراه غاية فى ذاته والاسلام لا يعارض التقدم بل يدفع اليه دفعا .

السادسة : للاسلام مفاهيم متميزة فى الفن والأدب والصحافة والاجتماع والأخلاق والتعليم والنفس والتربية والمرأة ، والأسرة والعادات والملابس .

ويختلف مفهوم الاسلام عن موقف الفكر الغربى فى القضايا الثلاث الكبرى : التطور ـــ نسبية الأخلاق ـــ التقدم .

السابع : لقد تبين أنه ما من فن أو علم أو معنى يتحدث فيه الناس فى أدب من الآداب إلا وجد له ضريب فى اللغة العربية ، يقول العلامة كامل كيلانى : لقد جمعت من هذه المعانى المشتركة (١٨٠٠ صورة) إنها أبرع عملة فكرية فى الغرب بشهادة كبار النقاد وقد أردت إيراد هده

المعانى وما يقابلها فى الآداب العالمية لأقنع الشباب بجلال أدبنا وأضفت اليها (٢٥) عملة فكرية من الأدب العربى لا ضريب لها فى الأدب الغربى بكافة فنونه والوانه .

الثامن : يقرر الاسلام (الثنائية) بين الله تبارك وتعالى والكون ، ويقرر التكامل بين الروح والمادة والعقل والقلب .

كذلك فإن الاسلام يجعل التوازن بين الفرد والمجتمع على اساس حفظ المصالح ودرء المفاسد وعلى قاعدة التضامن فى الحال والمصير ويجعل الالتزام الأخلاقى لدى الفرد ولدى الجماعة ويقرر أن الهيمنة على العلم والطبيعة لا يتم إلا على أساس الالتزام بالفضيلة عقيدة فى الفكر ومنهجا فى السلوك . كذلك قرر الاسلام عنصر الترابط الدائرى المستمر بين جميع العوامل المادية والفكرية المؤلفة لإنسانية الانسان والمؤثرة فى حياته الفردية والاجتماعية وأقر عنصر التوازن بين العوامل الكمية والعوامل الكيفية .

التاسع : أن جميع وسائل التطور هى : عبارة عن مواد خام قد تستورد لسد الحاجات وتجرى عليها عملية سبك وتحويل وانصهار ليخرج إلى القالب الذى يتفق مع كيان الأمة وروحها .

العاشر : الانصاف فى التعامل مع الفكر الغربى . فقد كان العرب أول من ألف فى (مقارنات الاديان) وكانوا بشهادة الباحثين (أمثال جب وغيره) واسعوا الصدر تجاه العقائد الأخرى ، فقد حاولوا ان يفهموها ويدحضوها بالحجة والبرهان ثم أنهم اعترفوا بما أتى قبل الاسلام من ديانات توحيدية ويحظى ابن حزم بالنصيب الأوفى .

هذا بينما لم تتخل الثقافة الاوروبية يوما واحدا عن نصرانيتها وتعصبها .

الحادى عشر : أن ما يقوله فلاسفة اوربا (نيتشة وهيجل وماركس) عن الدين فالمقصود به المسيحية أو اليهودية لأنهم لم يقرأوا الاسلام وعندما

يرى ماركس أن الدين لا يعد مصدرا من مصادر التوجيه فهو يقصد المسيحية وحدها .

الثانى عشر : إن أى مشروع عربى حضارى لا يمكن أن يكون صالحا ومتقبلا فى الوقت الحاضر انها ظل قاصر على المفهوم العلمانى أو معتمد على مفهوم المدرسة الاجتماعية (دوركايم) ولابد من أن يقوم اساسا على مفهوم الاسلام الأصيل .

الثالث عشر : ليس هناك ما يسمى إسلام عربى أو اسلام فارسى أو اسلام تركى وان الثقافات الاسلامية القائمة فى الهند واندونيسيا وغرب افريقيا لا يوجد بينها تباين فهى من حيث الأساس مرتبطة بالقيم الاسلامية الأساسية أما أوجه الخلاف القليلة فهى ناتجة عن الجغرافيا وعوامل المناخ وغلبة بعض التقاليد وهذه الخلافات فى ذاتها ضرورية وطبيعية لانها تدخل فى إطار المتغيرات وهى فى مجموعها لا تغير الصورة العامة ولا تؤثر فى الملامح الأساسية ومن هنا فإن الهوية الثقافية الاسلامية جامعة لكل المسلمين وان هوية المسلمين ليست قاصرة على الدين بمفهوم اللاهوت فإن الاسلام مشروع حضارى كامل يجمع مختلف عناصر الفكر والحضارة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

رابع عشر : ليس معنى العودة إلى المنابع هو اتخاذ التاريخ الماضى اسلوبا للعصر وليس معنى السلفية العودة إلى القديم وليس معنى السلفية رفض منجزات التقدم العلمى ذلك أن منابع الاسلام هى التى دفعت المسلمين إلى بناء المنهج التجريبى وان الدين بمفهوم الغرب هو الذى وقف أمام تقدم العلم .

هذا وقد انكشفت اخطاء كتاب الغرب (سارتر وفرويد وماركس) كما انكشفت كتابات الحلاج وابى نواس ورسائل اخوان الصفا وابن عربى ، فى محاولة التعريب والغزو الفكرى واحياء الفكر الباطنى والوثنى والاباحى .

كذلك فقد انكشفت الشخصيات التى لمعت بالباطل : جرجى زيدان ، سلامة موسى

الفصل التـاسع

مفاهيم اساسية صححتها حركة اليقظة

أولا : إستطاعت حركة اليقظة الاسلامية أن تفجر قضية التمويه التى حاولت ان تخلط الأوراق بين مفاهيم الاسلام ومفاهيم الفكر العربى تحت اسماء غربية منها : عالمية الثقافة ، ووحدة الحضارة ، ووحدة الجنس البشرى وكلها دعوات حاولت ان تصهر فكر الاسلام فى الفكر البشرى وتزيل عنه خاصيته الذاتية ، والواقع أن الجنس البشرى والنفس الانسانية واحدة فى الأصل ولكن طرأ عليها من المفاهيم والقيم والثقافات والقصائد ما جعلها تختلف إختلافا واسعا وخاصة فيما بين الاسلام والثقافات الغربية التى هى من أصل مسيحى واحد ولكنها تختلف بين اللاتينية والجرمانية من ناحية والكاثوليكية والبروتستانتية من ناحية أخرى .

ولقد كان الموقف من الحضارة الغربية هو أقوى هذه الجوانب إذ أعلنت حركة اليقظة الاسلامية الوقوف فى وجه حضارة الغرب ورفض النموذج الغربى بشقيه لمعارضته معارضة اساسية لمفهوم أسلوب العيش الاسلامى القرآنى المصدر وقد دحضت نظرية كيف يأخذ المسلمون الحضارة المادية ويرفضون فكرها ؟! وكان موقف الغرب نفسه من الحضارة الاسلامية واضحا منذ البداية فقد أخذ الغربيون علوم المسلمين ولم يقبلوا عقائدهم .

ولقد كشفت الأحداث خلال أكثر من اربعة قرون عجز الحضارة الغربية عن أن تحمل أمانة العطاء الانسانى وتقديم اسلوب العدل والرحمة والإخاء البشرى واستبدلت ذلك كله بأن قذفت فى نفوس اهل البشرية الخوف والجزع وجرت كل مجرى فى سبيل تقديم منهج حياة بشرى مضطرب بين الفردية والجماعية وبين الرأسمالية والاشتراكية فى عدد من الايدلوجيات التى تبين فسادها وعجزها عن العطاء وكان ذلك اعلانا واضحا بأن على البشرية ان تبحث عن منهج جديد : واهتدى بعض علماء الغرب إلى ان منهج الله تبارك وتعالى : (الاسلام) هو القادر وحده على العلماء .

ثانيا : وقف الفكر الاسلامى موقفا حاسما من تراث البشرية واعلى عليه تراث النبوة ، وكشف زيف مفاهيم الفلسفات وقصور المناهج سواء كانت الاقتصاد السياسى الربوى أو علم النفس الفرويدى أو مفاهيم ماركس ودوركايم وسارتر وما كشف من قصور القوانين الوضعية وفساد نظرية القومية الغربى ، وسقوط نظرية فصل الدين عن المجتمع ، وسقوط نظرية العنصرية ونظرية الدم .

وبينما كشفت حركة اليقظة هزيمة التجربتين الليبرالية والماركسية على حد سواء ورفض النموذج الغربى صححت موقفها من الالتباس الذى ادحل حول الديمقراطية والاشتراكية فليست الديمقراطية هى الشورى وليست الاشتراكية هى العدل الاجتماعى .

كذلك كشفت حركة اليقظة فساد فكرة وحدة الأديان أو وحدة الثقافة وكشفت تناقض الكتب المقدسة ورفض الاسلام للتراث البشرى الزائف من فلسفة اليونان إلى الغنوصية إلى الباطنية والوثنية والفكر المجوسى وفكر اليوجا والنرفانا والحلول والاتحاد ووحدة الوجود والتناسخ .

كل ذلك اعلن الاسلام فساده وزيفه .

ثالثا : استطاع الفكر الاسلامى تصحيح كثير من المواقف التاريخية التى زيفت على المسلمين وخاصة موقف السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية وإعلان الحقيقة الهامة بأن المنهج العلمى التجريبى الذى قامت عليه الحضارة العالمية من صنع المسلمين . وكذلك تصحيح كثير من المفاهيم العلمية ومنها تحرير العلوم الانسانية من المقاييس المادية .

رابعا : إعتقد المسلمون بحق أن لغتهم جزء من حقيقة الاسلام لأنها كانت ترجمانا لوحى الله ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ، ولسانا لدعوته ، هذبها النبى ﷺ بحديثه ونشرها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده فالقرآن لا يسمى قرآنا إلا بها والصلاة لا تكون صلاة إلا بها .

ولما كان منهج البحث فى كل فكر (الارجانون) لابد أن يستند إلى

خصائص اللغة ، ولما كان منهج الفكر الغربى مستند إلى خصائص لغة أو لغات غير العربية ولكل لغة منهجها الفكرى القائم على معانيها ومضامينها فقد كانت اللغة العربية هى اساس منهج الفكر الاسلامى ولذلك فليس معقولا ان تعتمد (ارجانون) الفكر اليونانى القائم على العبودية وشريعة الرق ، والمنهج الارسطى لأن ذلك كله مستند إلى خصائص اللغة اليونانية التى تحاكى اللغة العربية .

خامسا : حررت حركة اليقظة الاسلامية مفهوم العقلانية استمدادا من مفهوم الاسلام الذى يقرر حكمة الله فى نزول الأديان مع ارتقاء الفكر البشرى ، حتى وصل إلى رشده فقدم له الاسلام :

١ ــ العقل وحده لا يكفى ولابد من مصدر ربانى للمعرفة يمنح العقل البشرى القدرة على العمل الشامل المتوازن ، ولابد من قيم كبرى ربانية .

٢ ــ إن الغاية لا تتحقق إلا بمجىء الدين الخاتم وأن كل الدعوات والنبوات هى مقدمات لهذا الدين الخاتم .

٣ ــ إن تزويد الله تبارك وتعالى الانسان بالعقل لم يمنعه من الخطيئة ولم يمكنه من الفصل فى الصراع بينه وبين أهواءه مدى الحياة .

٤ ــ العقل موجود فى الانسان ولكنه ليس عاصما من الخطأ ، ولذلك كانت رسالة الرسل تحمل المساعدة للعقل البشرى ليقوم بدوره فى حماية الانسان من الخطأ والاتصال بالطاعات .

سادسا : فى إطار تكامل الاسلام فى عناصره المختلفة تتشكل ذاتيته التى تحول دون انصهاره فى أى فكر أو عقيدة ، وميزته الخطيرة البارزة أنه لا يقبل كل شيء من معطيات الحضارات والأمم وانه يجمع بين عناصر قد تبدو فى الفكر الغربى متعارضة : الموروث والوافد ، الجمالى والخلقى ، الالهى والبشرى ، فهى فى الاسلام تتلاقى وتتكامل .

وهناك مفاهيم يقف منها الاسلام موقفا واضحا : فالاسلام يقبل

المعرفة الانسانية ولكنه يتمسك بثقافته الاسلامية فلا ينصهر فى ثقافات الأمم ، وفى مجال التقدم يجمع بين التقدم المادى والمعنوى ، ويقرن بين الفلسفة والعلوم ، وبين الأخلاق والتقاليد ، ويجمع بين العروبة والاسلام ، المهم المحافظة على الذاتية الاسلامية وعلى بقاء البعد الربانى وعلى التحرك فى دائرة التوحيد الخالص .

سابعا : استطاعت حركة اليقظة الاسلامية ان تكسب فى المجال الغربى نقاطا هامة :

اهمها : اعتراف المنصفين الغربيين بالدور الذى قام به الاسلام فى بناء الحضارة العالمية ــ اعلان فقدان الحضارة الغربية للبعد الربانى للعلم والبعد الأخلاقى للمجتمع ــ إعلان نذر سقوط الحضارة الغربية ــ إعادة التقدير للرسول ﷺ .

ثامنا : الايمان بأن الاسلام قد اثبت بالتجربة خلال اربعة عشر قرنا انه اصلح النظم العالمية فقد بقى شامخا بينما تداعت الرأسمالية والاشتراكية ولم يمض عليها إلا القليل فالنظام الاسلامى قد نجح فى مواجهة المعتقدات الاجتماعية قرونا طويلة واقام دولة عالمية لمدة الف سنة ذات سيادة عالمية بكفاءة تامة واثبت صلاحيته فى جميع الأحوال ولا غرابة فى ذلك فإن اساسه منزل من رب الخلق والكون : رب العالمين وقد وضعت اسسه فى إحكام قادر على المواجهة والاستجابة معا للعصور المختلفة والبيئات المختلفة ، أما النظام الرأسمالى فإنه لم يستطع تحمل قيام الثورة الصناعية وأدى ذلك إلى الانفجار الشيوعى واليوم يطالب الغرب بنظام جديد غير الرأسمالية والشيوعية وليس غير الاسلام .

تاسعا : ظهور تيار من نوابغ الفكر الغربى يرون ان العالم لا يصلح إلا بالاسلام ، وتفشى الاسلام فى مثقفى الغرب وايمانهم بأن الاسلام هو وحده القادر على إعطاء سكينة النفس وطمأنينة القلب .

عاشرا : صحح الفكر الاسلامى عددا من المفاهيم فأعطى الأصالة فى مسألة حرية العقيدة ، التى يلتزم بها المسلم إذا اختار عقيدة ما فهو مسئول عن التحرك فى دائرتها أما دعاوى التقريب طبقا للمفهوم العلمانى فهى ترمى إلى الدفاع عن حق المرتدين من الملحدين والماركسيين والبهائيين وغيرهم فى حرية النشاط العلنى وحق الفرد فى تبديل عقيدته دون عقاب أو حساب كما جعل الاسلام (التخصص) مرحلة بعد اكتمال المفهوم الجامع للاسلام وفى اطاره بحيث لا يكون التخصص إنفصالا للفن الذى يتخصص فيه المسلم عن بقية اجزاء المفهوم الجامع .



البـــاب الثـــانى

فساد المنهج العلمى الغربى

اولا : فساد الفكر البشرى .

ثانيا : العقيـــــدة .

ثالثا : اختـــلاف المعامـــلات .

رابعا : ظاهرة الرفض للفكر البشرى .

خامسا : فساد نظريات الغرب .

سادسا : بين ميراث النبوة وركام تراث البشرية .

الفصـــل الأول

المــنهج العــلمى

فساد الفكر البشرى :

أبرز مفاهيم الفكر البشرى التى رفضها الاسلام نظرية الدم والجنس والانسان الأبيض المدعى بأنه تاج الخليقة ، والذى له الغلبة فى كل صراع على حد قول شانيك وقد بدأ هذا الفكر خلال عصر التنوير فى اوربا الذى هو عصر سيطرة اليهود والفكر التلمودى والعلمانية والتحرر من الدين كلية هذا العصر الذى يخطىء كثير من كتابنا-الذين يحاولون أن يصفوا به مرحلة من مراحل العصر الحديث ، والذى هو العمل اليهودى الذى حول المسيحية من دورها الرائد إلى الاحتواء والاستسلام فى احضان الفكر الماسونى ولقد حاول التغريب والغزو الثقافى فرض مفاهيم الفكر البشرى على أفق الاسلام .

اولا : الدعوة إلى استخدام الشريعة في تبرير أنماط الغرب الفكرية وهذا شر من تقليد هذه الانماط تقليدا اعتباطيا .

ثانيا : التأويل : وهو اخطر الأسلحة التى استعملت لتفسر النصوص تفسيرا يخرجها عن مدلولاتها الأصيلة إلى مدلولات منحرفة وقد حذر القرآن الكريم من هذا الخطر .

ثالثا : محاولة تقديم البدائل الفكرية ذات الولاء الغربى .

رابعا : المغالاة فى اهمية العنصر المادى وإهمال العنصر المعنوى والروحى .

خامسا : إحياء الخلافات القديمة بين الفرق واعادة بعثها .

الفكر البشرى :

هذا الفكر البشرى الذى يحاول ان يزيف مفهوم الدين الخالص ، ويتمثل فى مطامع النفس البشرية واهوائها ومحاولتها الخروج عن اصول الدين الحق .

سادسا : النظرية المادية : القائمة على إنكار (الجانب المعنوى

والروحى) بصفة عامة هى التى أوجدت التحليل النفسى القائم على الجنس وكان لها اثرها فى الأدب والقصة وتحليل النوازع والغرائز والكشف عن ملابس الحيوان وتعريته كحيوان .

ولقد ظهرت مادية علم النفس فى نظرية فرويد وفى علم الاجتماع فى نظرية دوركايم .

كما ظهرت فى الترجمة الذاتية بهدف تلمودى يرمى إلى تعرية البطل والكشف عن جوانب النقص فيه وقد أنكرت النظرية المادية البطولة بمفهومها القاصر .

وقد قدم الاسلام فى هذا المجال مفهومه الجامع الذى يقوم على تكامل الفكر الاسلامى فى أبعاده المتعددة حيث لا يمكن فصل كل بعد عن الآخر أو دراسته منفردا .

وفى الاسلام لكل شيء جانبان : مادى ومعنوى .

وفيه تكامل اعماق القلب ومجرى الفكر .

فإن العقيدة تتصل بالشعور والرأى يتصل بالحس .

إن المسلمين يدفعون عن أنفسهم التقليد والتبعية وخرافات التقاليد القديمة ومواريث الفلكلور ، كما يقف الاسلام موقف واحدا واضحا امام الفكر الهلينى والفلسفات الباطنية واخوان الصفا ويقوم الفكر الغربى المسيحى على مجموعة من النظريات التى نادى بها فلاسفة كانوا فى الحقيقة ثمرة للصراع الذى دار بين الكنيسة وبين العلماء التجريبيين ، ومن ثم نشأت الفلسفة المادية التى حاولت أن تقيم منهجا للحياة والمجتمع والحضارة خارج نطاق الدين المسيحى ، وكان المسيطر على هذه الحركة التى اطلق عليها (حركة التنوير) مجموعة من الفلاسفة اليهود الذين كانوا يعملون على تدمير المسيحية أساسا .

ففى الاقتصاد : ظهرت نظرية ماركس .

وفى النفس : ظهرت نظرية فرويد .
وفى الاجتماع : ظهرت نظرية دوركايم .
وفى التربية : ظهرت نظرية ديوى (عزل الدين عن التربية) .
وفى السياسة : ظهرت نظرية ميكافيلى ونظرية البرجماتزم (الذرائع) .
وفى الفن : ظهرت نظرية الفن للفن .
وفى الفلسفة : ظهرت الجبرية المنطقية .
وفى القانون : ظهرت قوانين اباحة الربا والزنا والشذوذ الجنسى .
وفى التطور : ظهرت نظرية دارون .
وفى الاخلاق : ظهرت نظرية النسبية .

ومن ثم أصبحت تفسر الحياة تفسيرا ماديا صرفا (لا إله والحياة مادة) واصبح الدين افيون الشعوب واصبحت القيم مجرد انعكاسات للوضع الاقتصادى والأخلاق متغيرة بتغير المجتمع ، والتفسير المادى للتاريخ يحكم الحياة ، والدين والأخلاق قيم غير اصيلة فى الحياة .

وكان وراء هذا كله دعاة التنوير من اليهود (فرويد وماركس ودوركايم) ثم نقل هذا كله إلى أفق الفكر الاسلامى .

وقد استغل الفكر الغربى السياسى هذه النظريات كلها فى خدمة نفوذ الاستعمار والسيطرة على الأمم والشعوب وخاصة نظرية دارون ونظرية الاجناس ولم يكن هذا غريبا على مجتمع يقوم فكره العقدى على نظرية التجسيم ويقوم فكره الفلسفى على اسقاط ما لا يدركه الحس .

أما علم الأجناس (الانثروبولوجيا) فهو علم استعمارى فى الأساس أريد به إعلاء عنصر على العناصر ودراسة تاريخ الأمم القديمة فى عصر طفولة البشرية دون عطاء الأنبياء الأصيل ، وكان قوامه دائما : الأدب الشعبى والاهتمام بالعامية .

وكذلك بالنسبة لفكرة التطور فقد عمد منها إلى هدم فكرة الارادة

الانسانية بتغليب مفهوم القهر الخارجي الذى يقهر الفرد على غير رغبة منه .

وكذلك التفسير المادى والاقتصادى والجنسى للانسان والاستشهاد بعالم الحيوان فى دراسة الانسان (الجامع بين المادة والروح) وكل هذا يستهدف المجتمع الاسلامى لتدميره والقضاء على نظام الأسرة ونظام الزواج وعندما تطرح نظرية دوركايم عن إنكار الفطرة الانسانية وانكار تنزيل الأديان من السماء وانكار أصالة الأسرة فإن هذا يرمى إلى إثارة روح الشك والتهديم فى المجتمع الاسلامى حيث يرى أن القيم والعقائد الروحية والمعنوية التى قدمتها الأديان لا قيمة لها وان الفرد لا قيمة له وانه لا معنى للتشبث بالحرية الفردية ، فهو يرى ان القيم كلها للمجتمع الذى يخلق الأديان والعقائد . هذه المفاهيم كلها ضالة ولا يقرها الاسلام .

إن الاسلام يرفض موقف الجبرية المادية التى تقرر : ان الانسان ليست له إرادة ، وتقرر ان الانسان قوة مريدة فعالة فى هذا الكون وكذلك يرفض الاسلام مفهوم مسئولية المجتمع ويقرر مسئولية الفرد .

كذلك يرفض الاسلام حرية الغريزة وانطلاق الشهوات .

وبالنسبة للاسلام فإن له ذاتيته الخاصة وله مواقفه المتميزة فى الفن والأدب والاجتماع والأخلاق ، والتعليم ، والنفس ، والتربية والمرأة والأسرة ، والعادات والملابس .

ويقرر الاسلام ثبات اللغة ، وثبات الشريعة وثبات الأخلاق .

ويقرر ثبات الأخوة البشرية والعدل الاجتماعى .

ويقرر ثبات الالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية .

ويقرر ثبات الأحكام إزاء تحريم الربا وازاء محرمات الخمر والقتل والميسر والزنا .

وللاسلام مواقف مختلف عن الفكر البشرى فى ثلاث قضايا اساسية :

١ — من فكرة التقدم ، فالتقدم فى الاسلام جامع بين المعنوى والمادى .

٢ — من فكرة التطور (فالاسلام يجعل التطور مرتبطا بالثوابت) .

٣ — من فكرة نسبية الأخلاق (فالاسلام يرى الأخلاق من الثوابت أما التقاليد فهى من المتغيرات) .

ولا يقر الاسلام :

١ — نظرية الغرب فى الخضوع لما يسمى (روح العصر) .

٢ — نظرية الغرب فى الانشطارية .

٣ — نظرية الغرب فى اخضاع العلوم الانسانية لمفاهيم المادة .

وبالجملة فإن هناك فوارق واسعة بين مفاهيم الاسلام وبين مفاهيم الفكر البشرى :

اولا : يقدم الاسلام النظرية الجامعة ويرفض نظرية الانشطارية التى تقوم عليها الفلسفة المادية اساسا بينما يجمع الاسلام بين المادة والروح .

ثانيا : يقدم الاسلام فكرة الثوابت والمتغيرات ويرفض نظرية التطور وخضوع الأخلاق للتطور .

ثالثا : يقدم الاسلام مفهوم التكامل الجامع بين المادى والمعنوى ويرفض فكرة التقدم المادى ، كذلك فإن الاسلام يقدم الأخلاقى على الجمالى .

رابعا : يقدم الاسلام فكرة تبريد العواطف ومفهوم العفة والاعلاء فى المشاعر ويرفض فكرة الجنس والتحلل الذى يقدمها الفكر الغربى .

خامسا : يقدم الاسلام فكرة المسئولية الفردية وينكر فكرة المسئولية الجماعية التى يقدمها الفكر الغربى .

ومعنى هذا أن الاسلام يختلف إختلافا جذريا عن منهج الغرب الذى يطمع التغريب والغزو الثقافى أن يفرضه علينا أو يحتوينا فى إطاره أو يصهرنا فى داخله ولن ينصهر المسلمون .

الفصـــل الثـــانى

العقيدة الاسلامية

تختلف عن العقائد الغربية والشرقية على السواء ومن هذا الاختلاف كان لها تميزها الخاص الذى يجعلها لا تقبل كل ما يفرضه الفكر البشرى .

وقد رفض الفكر الاسلامى رأي ارسطو فى (الألوهية) لأنه جرد الآله من كل شيء وهو عنده المحرك الذى لا يتحرك وأنه مفارق للعالم لا يعنى به ولا يعلم عنه شيئا . وهذا كله باطل تماما فى حق الله تعالى لأن الله تبارك وتعالى هو الذى أنشأ هذا الكون من العدم والذى يدبره ساعة بعد ساعة ولحظة بعد لحظة ولو تخلى عنه لانهار ، وهو الذى يعلم كل ذرة من ذرات الوجود ﴿ **وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين** ﴾ . وقد اختلف الاسلام عن مفهوم العقائد الغربية فى التوحيد والربانية وإسلام الوجه لله .

اولا : رفض الفكر الاسلامى فكرة الفصل بين الايمان والمعرفة والقول بأن الدين يختص بالاعتقاد (الايمان) والعقل يختص بالمعرفة لا الايمان .

ثانيا : فكرة الاستقلال بين الدين والعلم والقول بأن الدين ميدانه العبادات وان العلم موضوعه استغلال قوى الطبيعة ، وان الانسان فى مفهوم الاسلام يجمع بين الايمان بالدين بالقلب والايمان بالعلم بالعقل .

ثالثا : رفض فكرة الرهبانية والهروب من الحياة والسلبية والانطوائية وموقف التفسيرات الدينية من الرهبانية والمرأة والغريزة وهو مصدر رد الفعل الذى ساقته نظرية فرويد فى الجنس .

رابعا : يرفض الاسلام فكرة الماركسية بأن الفرد نتيجة منفعلة وليست فاعلا فى الحوادث الجارية .

العقائد :

إن عوامل الخلاف العميق بين العقيدة الاسلامية والعقائد الغربية (ويتبع ذلك الثقافات والقيم والآداب والأخلاق) قد جعلت هناك فرقانا

يفرق بين وجهة كل منهما ، ولقد جاء الفكر الغربى الذى حمله تيار التغريب والغزو الثقافى ليحمل اسلوبا مختلفا قائما على أساس الفكر الوثنى والمسيحى والمادى ويهدف إلى احتواء مفهوم الاسلام بهدف اساسى صريح هو تغيير الهوية الاسلامية واحتوائها وإزالة شوكتها وخاصة بالنسبة للحقيقة المتمثلة فى الجهاد (شريعة الله الماضية إلى يوم القيامة) والقضاء على ذلك الطابع المتميز الأساسى الذى فرق الله تبارك وتعالى به بين المسلم وبين الأديان والنحل المختلفة .

وتلك قضية قديمة فقد حرص رسول الله ﷺ على إضفاء طابع الذاتية الاسلامية الخاصة على صحابته والمؤمنين بدعوته والجيل الذى كوّنه والمجتمع الذى بناه فكان له من توجيهاته ﷺ فى شأن اللباس والطعام والمشى والحركة والنوم ومواجهة الأحداث سواء منها ما يتعلق بالأنواء والمطر وحركات الكواكب أو طلوع الشمس وغروبها أو الأعاصير وقال فى ذلك الكثير مما هو جدير بأن يجمع فى سمت واحد ، كذلك كان موقفه عليه الصلاة والسلام بالنسبة للكتب السابقة وكيف غضب من عمر بن الخطاب حين رآه يقرأ بعض أوراق من التوراة وقال له فى صراحة واضحة : «**لو عاد موسى لما وسعه إلا أن يتبعنى**» .

معنى هذا أن للاسلام ذاتية واضحة تخالف عادات وتقاليد صنعها الناس بعيدا عن توجيه الدين المنزل وعرفت بأنها تقاليدهم أعلوها على وحدة الدين وجعلوها اشبه بالقوميات أو الأممية ولو لم تكن لأسلمت الكتب السماوية الناس إلى وحدتها الطبيعية جيلا بعد جيل ورسولا بعد رسول إلى الدين الخاتم ولو شاء ربك مافعلوه .

وهذا هو السر فى ذلك الاحتفاظ الاسلامى بشمائل الرسول وطرائق حركته فإنها عامل اساسى فى ذلك التفرد بالسمت الاسلامى المختلف عن تصرفات غيرهم .

الفصل الثالث

إختلاف المعاملات

الاسلام بالنسبة لمعتنقيه فى جميع انحاء العالم ليس نظاما عباديا فحسب وإنما هو نظام حياة يومية كاملة لا يتجزأ ، وبينما لا يعرف المسيحيون الطريق إلى كنائسهم إلا أيام الآحاد لفترة وجيزة ، فإن الوضع يختلف بالنسبة للمسلمين لأنهم على إتصال روحى دائم بالخالق الأعلى طوال يومهم من خلال أداء فرائض الصلوات الخمس اليومية وصلاة الجمعة التى تعتبر مؤتمرا اسبوعيا لمسلمى العالم يجتمعون فى الصلاة ويتبادلون الآراء حول ما يهم حياتهم اليومية من قريب أو بعيد .

إن محاولة التغريب صرف المسلمين عن منهج حياتهم الأصيل الذى تعارفوا عليه وعاشوا به عمرهم والذى حقق لهم النصر فى الأزمات ، والفرج بعد الشدة ، والخروج من الاحتواء والتخلف من السيطرة الخارجة ، هذه المحاولة يجب أن ينكسر قيدها وأن نهدى انفسنا للعوامل الحقيقية التى عرفها أجدادنا عن طريق منهج القرآن ونور الاسلام إلى مواجهة التحديات والخروج من المأزق وهى وسائل ثابتة واصيلة ربانية لا يمكن ان تقع تحت مقولة : فاتها الزمن لأنها من الثوابت الحقيقية ، التى هدى الله تبارك وتعالى هذه الأمة اليها والتى مازالت قادرة على العطاء الثر .

المعامــلات :

كما ان الاسلام مختلف فى مجال المعاملات والأخلاق :

اولا : فى شرعة التساوى بين الأمير والأجير فى العقوبة والجزاء «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد ، وأيْمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**» .

ثانيا : فى اقامة التعامل الانسانى على اساس الأخوة العالمية والتسوية بين الناس على اختلاف السنتهم والوانهم فى الحقوق والواجبات وليس

على اساس الدماء والأعراق «**كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى**» .

ثالثا : فى اقامة المسئولية الفردية فى الحساب والجزاء ﴿ **وكلكم آتيه يوم القيامة فردا**﴾ ولا يقر الاسلام ما يسمى بمسئولية المجتمع أو المسئولية الجماعية .

رابعا : ليس فى الاسلام طبقة تدعى (رجال الدين) لهم فى علاقاتهم بالناس حقوق ليست لغيرهم وإنما يوجد علماء متخصصون فى الدين .

خامسا : دعوة الاسلام المسلمين إلى التحرى عن الحق ، ودعاهم أن يغيروا رأيهم إذا ظهر لهم وجه الصواب ولا يأنف المسلم ان يأخذ الحقيقة من أى احد يأتيه بها ولو كان مخالفا له فى دينه أو لغته .

الفصل الرابـع

ظاهرة (الرفض) للفكر البشرى فى أفق الاسلام

إن الظاهرة التى يجب أن تكون موضع تقدير الباحثين هى : (الرفض) الواضح للفكر البشرى الغربى (الإباحى المادى الوثنى) ففى مؤتمر عقد فى باكستان هوجمت الفلسفة وفى مؤتمر آخر عقد فى إحدى دول العالم الغربى نفسه هوجم (علم النفس الفرويدى) وفى مؤتمر فى امريكا هوجم (دارون ونظريته) وفى مؤتمر رابع هوجم (التفسير المادى للتاريخ) . وفى مؤتمر تونس جرى الحديث عن علم الاجتماع الغربى وهل هو علم استعمارى ، وتبين أن (علم الفلكلور) علم استعمارى ، وقد علت الصيحة تنادى المسلمين بأن يقدموا علومهم ، بعد أن تكشف أن هناك علوما مسيحية وعلوما يهودية ، وأن مفهوم الاسلام يختلف . وقد ظهرت فى السنوات الأخيرة دراسات عن علم نفس اسلامى وعلم اجتماع اسلامى وعلم اقتصاد اسلامى وأدب اسلامى له طابعه الخاص المتميز .

وفى جماعة المسلمين الاجتماعيين فى الولايات المتحدة تجرى الدراسات حول (أسلمة المعرفة) ولصاحب هذا البحث دراسة عن أسلمة العلوم والمناهج والمصطلحات يجرى إعدادها الآن .

وغاية ما يقال فى هذا كله : أن المسلمين لهم وجهة نظرهم الخاصة فى مختلف العلوم والقضايا المثارة المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية والمختلفة اختلافا عميقا عن ما تقدم من الايدلوجيات المختلفة وقد تكشفت فى هذه المؤتمرات العديدة اشياء كثيرة :

اولا : لم يكن فى الدارونية التى قال بها دارون مجال للارادة الحرة ولذلك أيدها اليهود لغرض (الجبرية) التى تمثل فكرهم .

ثانيا : لم يكن فى الفرويدية مجال للرغبة فى التفوق الانسانى التى قال بها غيره وبذلك أيدها اليهود لغرض مفهوم الجنس على علم النفس .

ثالثا : لم يكن فى الماركسية مجال للعوامل الأخرى التى تحكم مسيرة التاريخ ولذلك ايدها اليهود لغرض تفسيرهم المادى .

لقد تكشفت حقائق كثيرة ابرزها سموم الماسونية وبروتوكولات صهيون

التى تحولت إلى مذاهب فلسفية وهناك دعوات مسمومة أبرزها :

أولا : محاولة القول بأن الأديان واحدة وان الخلافات التى بينها خلافات يسيرة وتحمل هذه الدعوى هدم فريضة الجهاد فى سبيل الله وترمى إلى هدم ذاتية الاسلام الخاصة وتدعو إلى صهره فى بوتقة الأممية .

ثانيا : إن كتب الفلسفات فى المدارس والجامعات تتبنى الرؤية الغربية وتمتلىء بالتعقيدات وتشرح باستفاضة مفاهيم الباطنية وفلسفات الحلول والاتحاد ولا تشير إلى مفاهيم الاسلام إلا إشارات قليلة من خلال أسماء مشبوهة أمثال ابن عربى والحلاج .

ثالثا : تغليب مفاهيم ضالة وفى مقدمتها التأويل ، ومحاولة تقديم أحاديث مشكوك فيها لتبرير العقلانية .

رابعا : كل ما كتب لخدمة مفهوم وحدة الأديان مشكوك فيه وما كتب للجمع بين النبي محمد ﷺ وغيره من الأنبياء فيه نظر .

خامسا : الادعاء بأن اللغة العربية ملك لنا ولنا حق التصرف فيها إدعاء باطل فاللغة العربية هى لغة القرآن وهى مسئولية ألف مليون مسلم يدرسون عن طريقها القصة والتفسير والعلوم الاسلامية وليس من حق العرب ادعاء حرية التصرف فيها وهى صيحة ضالة نادى بها الغربيون ولا يزال يرددها المسيطرون على مجامع اللغة .

سادسا : إن الجهد الذى بذل منذ مطلع العصر الحديث لازالة الفوارق بين العالمين بين الاسلام والغرب كان قائما فى ظل الاستعمار ولحسابه حيث كان الغرب يريد أن تزول الفوارق من ناحيتنا نحن لتسقط فى مصيدة الاحتواء والأممية ، لقد فتح الغرب يديه لا ليعانقنا ولكن ليلتهمنا ، لقد ظننا أن أخذنا لقواعده السياسية والاجتماعية يحيينا فإذا هو قد أماتنا ولذلك فلابد من أن نعرف حقيقة هامة هى : أن لكل أمة منهجها الذى تستمد منه وجودها والذى يعطيها طوق النجاة إذا ادلهمت الأزمات .

سابعا : تبين قدرة الفكر الاسلامى على العطاء وعجز المنهج الوافد أن الارتباط بالتراث ليس تعصبا ولا تطرفا ولا جمودا ، إنما هو ارتباط بقانون

أصيل عرفته كل الحضارات يجعل من الربط بين الماضى والحاضر والمستقبل ربطا جذريا عضويا حقيقة قائمة .

هو قد أماتنا ولذلك فلابد من أن نعرف حقيقة هامة هى : أن لكل أمة منهجها الذى تستمد منه وجودها والذى يعطيها طوق النجاة إذا ادلهمت الأزمات .

سابعا : تبين قدرة الفكر الاسلامى على العطاء وعجز المنهج الوافد أن الارتباط بالتراث ليس تعصبا ولا تطرفا ولا جمودا ، إنما هو ارتباط بقانون أصيل عرفته كل الحضارات يجعل من الربط بين الماضى والحاضر والمستقبل ربطا جذريا عضويا حقيقة قائمة .

الفصل الخامس

فساد نظريات الغرب

تتمثل غزوة الفكر البشرى الوثنى للفكر الاسلامى فى ميادين متعددة اهمها :

اولا : محاولة طرح مفاهيم الفكر الغربى فى افق الفكر الاسلامى مما كان لها ابعد الأثر فى تغيير الأعراف والمفاهيم الاسلامية بالنسبة لقضايا المجتمعات وهى أخطر آثار التبعية ، ذلك لأن هذه المفاهيم الوافدة معارضة لمفهوم الاسلام بخاصة والدين المنزل بعامة وهى المفاهيم التى رسمتها (اولا) الماسونية (٢) بروتوكولات صهيون لفرضها على المجتمعات والتى تضمنتها الايديولوجيات بعد ذلك ، خاصة فى مسائل الحرب والسلام إعتمادا على المفهوم المادى وتفوق اسرائيل على البلاد العربية وهو غير المفهوم الاسلامى الذى يقرر : **﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾** ، **﴿ ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾** فقد قدم الاسلام قانون النصر : الانتصار بالعدد الأقل .

وترمى هذه المحاولات فى تقديم مقاييس وافدة مختلفة عن مقاييس الاسلام إلى إخضاع المسلمين للغزو الفكرى ، وقبول الحضارة الغربية ، والانصهار فى المفهوم الصهيونى التلمودى للحياة والمجتمع والأسرة والشباب والمرأة من حيث إطلاق الحرية الشخصية والتجاوز عن الالتزام الأخلاق والمسئولية الفردية . وقد عارض الفكر الاسلامى هذه التبعية وكشف عن زيف هذا الاحتواء .

ثانيا : إرتباط الفكر الباطنى والوثنى المبثوث فى الفكر الاسلامى بالمصادر الغربية ، وقد اهتم الاستشراق بإحياء الفكر الفلسفى والاسرائيليات والدعوات الباطنية وتمجيد علم الكلام والاعتزال لأنه إعتمد على مفاهيم المنطق والجدل اليونانى ، ذلك أن أهم التأثيرات اليونانية دخلت على الكلام والاعتزال والتصوف الفلسفى ، وأخطر ما أخذ به التصوف الفلسفى (وحدة الوجود والحلول والاتحاد) وقولهم بالجبرية

واسقاط التكليف .

ومن ذلك ما حاول التغريب إحياءه من الفكر الباطنى الشعوبى :

١ ــ ما قدمه نصير الطوسى وقصة العقول السبعة ورسائل اخوان الصفا .

٢ ــ أشعار ابن الفارض وكتابات الحلاج وابن عربى .

٣ ــ إختلاط فلسفات المجوس الشرقية ومفاهيم الافلاطونية الغربية .

٤ ــ قضية الحب الالهى ، وفكرة قدم العالم واشتراكية المال والنساء وما قدمه ابن عربى وابن سبعين وغيرهم ممن تأثروا بالفلسفة اليونانية والقائلة بسقوط التكليف وهو المفهوم الذى حوله الفكر الغربى إلى فكرة مسئولية المجتمع .

وقد رصد علماء الاسلام : مفاهيم الفلسفات الوثنية واليونانية والمجوسية فى دراسات عميقة وموسعة وكان على رأسهم الامامين الغزالى وابن تيمية .

ثالثا : محاولات النفوذ الغربى والاستشراق فى ميادين متعددة :

١ ــ القانون الوضعى الذى فرضه النفوذ الأجنبى على بلاد المسلمين بديلا عن شريعتهم الاسلامية جاء اليوم علماء من الغرب يكشفون فساد تجربته وهزيمته فى بلاده . واكد هؤلاء العلماء عطاء الشريعة الاسلامية وكشف القصور فى القوانين الوضعية .

٢ ــ الحضارة الغربية التى فرضها النفوذ الاجنبى على بلاد المسلمين بديلا عن مفهومهم للحضارة جاء اليوم الغربيون الذين قالوا بانهيار الحضارة منذ صيحة (شبنجلر) بعد الحرب الأولى بعقد من الزمان ويجيء اليوم (جارودى) ليعلن فساد الحضارة لغياب البعد الأخلاقى عن المجتمع وافتقاد البعد الالهى للحضارة والعلم .

٣ ــ الفكر الغربى اللاهوتى الذى حاول النفوذ الغربى فرضه على المسلمين جاء اليوم من كتاب الغرب من كشفوا تناقض الكتب القديمة

وعجزها عن العطاء وسلامة النص القرآنى ومصداقيته مع معطيات العلم وخاصة فى العلوم التجريبية والطب .

٤ ــ التراث الاسلامى الذى حاول النفوذ الغربى التشكيك فيه ووصفه بالقصور والعجز جاء من كتاب الغرب اليوم من يؤكدون عظمة هذا التراث .

٥ ــ المنهج العلمى التجريبى الذى حاول النفوذ الغربى الادعاء بأن الغرب هو الذى وضعه جاء الآن من كتاب الغرب من يؤكدون انه من عطاء الاسلام .

٦ ــ الفكر الفلسفى اليونانى وفكر ارسطو على وجه الخصوص الذى حاول النفوذ الغربى فرضه على المسلمين جاء الآن من كتاب الغرب من كشفوا عن فساده وهاجموا مذهب ارسطو بما كتبه المسلمون عنه .

رابعا : محاولة الفكر الغربى فرض طابع الانهزامية واليأس والتشاؤم على الفكر الاسلامى ، والأدب العربى وقد رفض الفكر الاسلامى هذه المحاولة وكشف عن اصالته .

خامسا : الدعوة للاستسلام لروح العصر وذلك بتبرير الانحرافات والإباحيات والفساد الذى تخوضه الحضارة الغربية اليوم وقد اعلن علماء الاسلام ان الاسلام ما جاء مبررا لأخطاء المجتمعات ولكنه جاء موجها لها .

○ ○ ○ ○

كذلك فقد عارض الاسلام مفهوم القانون البشرى الذى حاول النفوذ الأجنبى فرضه على العالم الاسلامى بديلا عن الشريعة الاسلامية وفى هذا يقول الفقيه الغربى ديجى فى مؤلفه (السيادة والحرية) :

كيف يملك البعض ارادة البعض ويقيد هذه الارادات ويسمو عليها ويفرض عليهم القواعد والنصوص ، كيف يمكن ان يكون من البشر للبشر من يعطى حق التشريع ؟! لابد ان تكون هناك جهة اعلى من

البشر هى التى تمنح البشر قوانينها .

○ ○ ○ ○

كذلك يرفض الاسلام نظرية (الجدلية الماركسية) التى تصور الحياة الانسانية فى صراع تراه اساس الحركة والتعبير والتطور .

ذلك لأن هذه النظرية قامت على أساس مفهوم هيجل فى أن الله (جل شأنه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) هو الوجود المطلق الذى يتمثل فى حدود الوجود المشهود ، وهى نظرية : الحلول والاتحاد .القديم التى استوعبتها المسيحية والتى جاء الاسلام لحربها وقد تطورت هذه النظرية بدخول فكرة الصراع الطبقى عليها التى دعا اليها ماركس وهى تستمد وجودها الأول من معارضة نظرية الثبات التى دعا اليها ارسطو ، ومن الامتداد مع نظرية التطور التى دعا اليها دارون ونقلها سبنسر إلى مجال الاجتماع وكان سبنسر قد نقل نظرية النشوء والارتقاء من مجال البيولوجيا الى مجال الاجتماع وحاول ان يطبقها على الانسان والأخلاق ودعا إلى تطور الأخلاق ومن هنا نشأت نظرية اختلاف القيم باختلاف العصور .

والاسلام لا يقر هذه المفاهيم البشرية لانها تخالف الحقيقة ويقدم الاسلام بديلا منها مفهوم (الثوابت والمتغيرات) والتطور غير التطوير فالتطور ليس كله تقدما والجديد ليس الأصلح دوما .

يرفض الاسلام نظرية (البرجماتية — نظرية الحياة الاجتماعية الامريكية) التى تقوم على الذرائع والتى تعتبر (المنفعة) هدفا اساسيا بصرف النظر عن المعنويات والمثل والقيم ، ومنذ اليوم الأول للتبعية الغربية نادى لطفى السيد بنظرية المنفعة .

كما يرفض الاسلام نظرية (الحق والخير والجمال) التى هى مستمدة من الفكر المسيحى الغربى وبديلا للتثليث المسيحى ، بمفهوم ان الحق هو المنطق والخير هو الأخلاق والجمال هو الفن .

وقد كشفت حركة اليقظة الاسلامية هزائم كبيرة للفكر البشرى :

١ ــ هزيمة التجربتين الليبرالية والماركسية على السواء .
٢ ــ إعادة التقدير من كتاب الغرب للرسول محمد ﷺ .
٣ ــ تصحيح موقف الغرب من السلطان عبدالحميد والدولة العثمانية .
٤ ــ تأكد صحة القول بأن الديمقراطية ليست هى الشورى وان الاشتراكية ليست هى العدل الاجتماعى .
٥ ــ إعلان الحقيقة الهامة وهى أن المنهج العلمى التجريبى قد وضعه المسلمون .
٦ ــ تصحيح موقف الفكر الاسلامى من الفلسفة اليونانية فقد رفضها المسلمون ولم يعتبروا بدعاويها الباطلة وكشفوا عن ان ارسطو لم يكن معلما للمسلمين وصححوا اخطاء جالينوس وغيره .
٧ ــ إنكشف فساد الاقتصاد السياسى الربوى وعلم النفس الفرويدى ومفاهيم ماركس ودوركايم وسارتر .
٨ ــ ظهور مبادىء علم النفس الاسلامى ، علم الاجتماع الاسلامى ، علم الاقتصاد الاسلامى ، دعائم الأدب الاسلامى .
٩ ــ رفض النموذج الغربى فى اسلوب العيش .
١٠ ــ كشف قصور الحضارة الغربية لغياب البعد الربانى والبعد الأخلاقى عنها .
١١ ــ انكشف تناقض الكتب المقدسة القديمة وانها من صنع البشر .
١٢ ــ تبين قصور القوانين الوضعية عن الاستجابة لاشواق النفس الانسانية وعجزها عن العطاء .
١٣ ــ فساد فكرة وحدة الأديان ، ووحدة الثقافة .
١٤ ــ تبين ان التحديث والتغريب كل منهما قضية مستقلة وان المسلمين يقبلون التحديث ولا يقبلون التغريب .
١٥ ــ سقوط نظرية دارون ، وما ترتب عليها من دعاوى .
١٦ ــ سقوط نظرية القومية الغربية الوافدة .

١٧ ــ سقوط نظرية فصل الدين عن المجتمع ، وفصل الأدب عن الفكر .

١٨ ــ سقوط نظرية العنصرية والدم والاعراق .

١٩ ــ تبين عجز الفكر الغربى عن فهم اللغة العربية والقرآن وفهم الوحى والنبوة .

٢٠ ــ سقوط فكرة التطوير بعامة : تطوير الشريعة وتطوير الدين وتطوير اللغة .

الفصل السادس

بين ميراث النبوة وركام تراث البشرية

[ما امتاز به الاسلام ويود أن يعرفه الغربيون]

تميز الاسلام عن الفكر البشرى واللاهوتى وتراث الغرب (اليونانى والرومانى والمسيحى) بعناصر وقيم تختلف تماما عن مفاهيم وقيم الغرب .

اولا : ان الإله لم يتخذ شكلا بشريا ولم يتجسد ولا يجرؤ أحد على تصويره ، لأنه لم يخلق الخلق على صورته وليست له صورة مادية (الواحد الأحد الفرد الصمد) .

ثانيا : لم يعتمد النبى ﷺ فى اداء رسالته على المعجزات وليست له معجزة حسية معينة وانما جاءت معجزته معنوية خالدة باقية إلى يوم القيامة وهى : (القرآن الكريم) .

ثالثا : تحرير مفهوم النبوة من الخرافات والمعتقدات الغربية والفصل بين مفهوم الألوهية ومفهوم النبوة وبين مفهوم النبوة ومفهوم الصحابة أو الأتباع .

رابعا : لا واسطة بين الله تبارك وتعالى وخلقه ، لقد حرم الاسلام تلك الوساطة ﴿**وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب**﴾ .

خامسا : رفع الاسلام شأن العلم والعلماء إلى أعلى الدرجات ودعا المسلمين إلى طلب العلم فى أى مكان .

سادسا : رفض النبى ﷺ فكرة التقديس واعلاء الذات :

ـ إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة .

ـ لا تقوموا كما يقوم الأعاجم .

ـ إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان لموت احد ولا لحياته (قالها ﷺ عندما كسفت الشمس يوم موت ابراهيم) .

سادسا : حرية التدين ﴿ **لا إكراه فى الدين** ﴾ .

سابعا : الايمان بجميع الأديان والأنبياء والكتب وحبّ جميع الأنبياء السابقين .

ثامنا : لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى

الناس كلهم لآدم وآدم من تراب (انكار العصبيات والتفرقة العنصرية) .

تاسعا : تحريم الخمر والزنا والربا والميسر واكل لحم الخنزير واباحة الطيبات والطعام والزواج وطعام اهل الكتاب واللباس . وتعدد الزوجات .

عاشرا : تميز الاسلام الواضح فى مختلف الأمور .

حادى عشر : تكامل القيم : العقل والجسم ، الروح والمادة ، والدين والعلم وأخلاقية الحياة والالتزام الفردى والجزاء الأخروى .

ثانى عشر : المصل بين الرجولة والانوثة .

بيما يقدم الفكر البشرى منهجا مختلفا :

اولا : العصبية الجنسية والعصبية الاقليمية والفكر القائم على العناصر والدماء والاستعلاء باللون والعرق .

ثانيا : الأساطير والخرافات وهو فكر طفولة البشرية (وما يتصل بالفلكلور وغيره) .

ثالثا : التجزئة والانحياز للمادية انحيازا تاما أو الروحية انحيازا تاما واعلاء شأن الانشطارية وانكار ما سواها .

رابعا : التفرقة بين الالهى والبشرى (وبين الدين والعلم وبين الروح والمادة) .

خامسا : تقديس العقل والاستعلاء بالانسان .

سادسا : تأليه الطبيعة وإنكار الغيب وغير المحسوس .

سابعا : تعدد الآلهة والصلب وخطيئة آدم .

ثامنا : إعطاء الفلسفة قوة العلم التجريبى وتحكيم العلم المادى فى العلوم الانسانية .

تاسعا : إنكار فضل الحضارة الاسلامية ودورها فى بناء المنهج التجريبى .

○ ○ ○

ثلاث حقائق كشف عنها خلط الأوراق :

اولا : قال الدكتور محمد حسين هيكل انه يكتب (حياة محمد) على اساس المنهج العلمى الغربى فقال له الشيخ المراغى : إن هذا المنهج اسلامى المصدر .

ثانيا : قال طه حسين ان يعتمد مذهب ديكارت فى البحث الادبى فقال له الاستاذ محمد احمد القمراوى : إن ما عرفه ديكارت هو ما كتبه الامام الغزالى فى كتابه : (المنقذ من الضلال) وان منهج الوصول إلى اليقين عن طريق الشك موجود عندنا نحن المسلمين .

ثالثا : قالوا : ان الفلسفة الاسلامية هى الفلسفة اليونانية مكتوبة باللغة العربية فقال لهم الشيخ مصطفى عبد الرازق : ان الفلسفة الاسلامية تبدأ بالإمام الشافعى .

الفوارق العميقة بين منهج الاسلام والمنهج الغربى البشرى

إن هناك فوارق عميقة واختلافات واسعة بين منهج الاسلام ومنهج الغرب فى مسائل رئيسية اساسية اهمها :

اولا : التفرقة بين الفلسفة والعلم التجريبى :

إن هناك فارقا واسعا بين الفلسفة والعلم التجريبى وان نظريات الفلسفة المادية التى تقوم على المحسوس وترفض عوالم الغيب والوجدان والقلب ليست علما بمعنى العلم ولكنها فروض قابلة للخطأ والصواب ولذلك فإنه عندما يجيء باحث ليقول ان الدين خُرّج من الأرض وان الجريمة من الفطرة وان الزواج ليس من الفطرة فنحن لا نقبل هذا على انه حقائق علمية ولكننا نرى انه نظرية فلسفية ومن هنا نضع كل فكر فرويد وسارتر ودارون وماركس فى هذا الاطار .

ثانيا : التفرقة بين المعرفة والثقافة :

كذلك فنحن وفق مفهوم الاسلام نفرّق بين المعرفة والثقافة ، فالمعرفة هى مجموعة المعلومات العامة التى لا تتعارض مع الأديان والعقائد ، وهى معلومات عامة لكل أمة وكل عصر لا يختلف حولها ، أما الثقافة فإن لكل أمة ثقافتها الخاصة المستمدة من عقيدتها واخلاقها وتكوينها النفسى والاجتماعى .

ثالثا : التفرقة بين الموروث والوافد :

ونحن فى ضوء الاسلام نفرق بين التراث والفكر الوافد من خارج ثقافة الأمة ، أما التراث فكل ما كان منه امتدادا صحيحا لمفهوم القرآن والسنة فهو تراث إيمانى بنّاء وما كان غير ذلك فهو من تراث الباطنية والفرق ، كذلك فإن كل فكر وافد ينظر اليه فى ضوء القيم الاساسية للاسلام وهى التوحيد والوحى والنبوة والسنة ولا نقبل ما يعارضها ، كذلك فإن ما نأخذه من الفكر الأممى والبشرى فإننا نعتبره (مادة خاما) نشكله فى دائرة فكرنا ووفق منهج حياتنا .

التفرقة بين الجمالى والخلقى :

فالاسلام لا يضحى بالخلقى من أجل الجمالى وإنما يقيم الجمالى فى اطار الخلقى فالأدب المكشوف والقصة الجنسية والقصيدة المكشوفة كل هذا لا يقره الاسلام لأنه يعبر عن نزوة الانسان وحالة من حالات ضعفه ولا يرى الاسلام تعميمها أو نشرها لأنها من السوء الذى نهينا عنه .

خامسا :
ليست الاشتراكية هى العدل الاجتماعى وليست الديمقراطية

هى الشورى :

تختلف مفاهيم القيم بين الفكر الاسلامى والفكر الغربى والاسلام منهج ربانى جامع متكامل يختلف مفهوم العدل الاجتماعى فيه عن مصطلح الاشتراكية الغربى كما يختلف مفهوم الشورى فيه عن كلمة الديمقراطية .

تجاهل الغرب لدور المسلمين

تجاهل (برتراند رسل) فى تاريخه للفلسفة الغربية دور المسلمين فى تكوين الفكر الاوربى وهو دور يزخر بأرقى ما وصل اليه الفكر البشرى من اضافات فلسفية ، فقد استطاع وهج الفلسفة الاسلامية ان يضىء اوربا فى عصور الظلام ، وأن يفجر عصرا جديدا للنهضة الفكرية والعلمية فى اوربا وهو ما تزخر به المؤلفات الاجنبية ودوائر المعارف والموسوعات الفلسفية ، فقد تحيز برتراند رسل للفلسفة الغربية وأعلى من شأن عنصره ، بعيدا عن الموضوعية والحياد واسوأ من ذلك ليحول دون ذكر فضل المسلمين : إن الحضارتين الشرقية والغربية قد نمت كل منهما فى اتجاه مستقل ، وكذلك خطأه فى ارتباط الفلسفة الغربية وحدها منذ نشأتها بالعلم وكذلك خطأه فى النظرة إلى الفتوحات والتوسعات الاسلامية .

وهو بذلك قد تجاهل حتى ما اعترف به المؤرخون الغربيون انفسهم وما اورده بريستد فى كتابه (فجر الضمير) وما ذكره إفلاطون وما اشار اليه سارتون فى كتابه تاريخ العلم .

وما ذكره رسل فى كتابه هى سطور قليلة عن ابن سينا وابن رشد باعتبارهما من فصيلة الفلسفة اليونانية واتباعها .

إن قضية إنكار الغرب لفضل الاسلام على الحضارة والعلم يدخل فى دائرة تجاوز الغرب لشروط المنهج العلمى الذى يدّعى أنه صاحبه أو أنه

ملتزم به ، أما أنه صاحبه فليس صحيحا لأن المسلمين هم الذين وضعوا أسس المنهجية : المنهج التجريبى ومنهج المعرفة ، اما الالتزام به فقد تجاوزه الغربيون فى وقائع تاريخية محددة :

اولا : انكار فضل المسلمين على انشاء المنهج التجريبى اساسا .

ثانيا : عشرات النظريات التى نقلها الغربيون من التراث الاسلامى (فى مختلف مجالات القانون والاجتماع والاقتصاد) وانكروا نسبتها إلى المسلمين .

ثالثا : وقف الغرب موقف المعارضة للحقائق الجديدة التى جاء بها التجريب الاسلامى والتى خالفت ما جاء فى سفر التكوين وكشف اخطاء نظريات بطليموس التى تمسكت بها الكنيسة .

واهم هذه النظريات : دوران الأرض ، تخطئة بطليموس فى القول بمركزية الشمس ، واحلال مركزية الأرض وكذلك دوران الأرض والكواكب حول الشمس لا العكس ولقد اختلفت نظرة رجال الدين إلى اجرام السماء ولكن العلم التجريبى أبطلها جميعا ، ومن ذلك قولهم إن تلك الاجسام كائنات حية وقيل انها موطن الملائكة ، وقيل أن النجوم كائنات روحية ، وان السماء قبة صلبة تحيط بالأرض كل هذا كذّبه العلم التجريبى ، ومن هنا كان موقف الكنيسة وعلماء الدين من كوبر نكوس وجاليلو الذين اعتنقوا نظريات المسلمين وقد قامت محاكم التفتيش لمعاقبة هؤلاء الذين خرجوا عن الأساطير .

○ ○ ○

الباب الثالث
الفوارق العميقة بين منهج الاسلام والمنهج الغربى البشرى

اولا : الحضارة .
ثانيا : التاريخ والتراث .
ثالثا : العلمانية .
رابعا : النفس والاخلاق .
خامسا : القانون .
سادسا : الاقتصاد .
سابعا : المجتمع والمرأة والأسرة .
ثامنا : التربية .
تاسعا : الفن .

الفصل الأول

الحضـــــارة

كانت الحضارة الغربية هي المصيدة الكبرى للمسلمين التي فرضت عليهم دون ان يقدروا مدى الفوارق العميقة بين مفهوم الاسلام للحضارة ومفهوم الغرب لها ، ذلك أن الحضارة الغربية الوافدة إلى عالم الاسلام هي حضارة اللذة والجنس والانطلاق على النحو الذى عرفته الحضارتين اليونانية والرومانية مجددة بعد أن مرت المجتمعات الغربية بطوابع الرهبانية وهى فى اقصى اليمين لترتد منها إلى طوابع الاباحة فى أقصى اليسار .

ولذلك فإن الحضارة الغربية المطروحة فى أفق الاسلام والتى ما كان فى استطاعة المسلمين تحاميها نظرا لضعف إرادتهم أمام نفوذ الاستعمار الذى حملها معهم وزينها لهم وفرض عليهم ثقافة تعجب بها وتقبل عليها .

ولقد خضع المسلمون فعلا لمفهوم الحضارة الغربى : هذا المفهوم المادى الوثنى ولكنهم استطاعوا بعد ذلك أن يتحرروا وان يعرفوا ان مفهوم الاسلام للحضارة مختلف بل ومتباين .

فقد قامت حضارة الغرب المادية على أنقاض قيم الدين والأخلاق وارتكزت على مفهوم الصراع بين الكنيسة والعلم ، وجعلت طموحها هو فى الاندفاع وراء الشهوات والرغبات والمطامع دون تقدير لأى ضوابط أو قيم . وقد اسماها الفيلسوف ماركوز : حضارة البعد الواحد وهو الاشباع الاستهلاكى .

وهى حضارة لا قلب لها ولا تعرف الرحمة ، ففى ظل حضارة البعد الواحد تجد الرجل يأتيه الخبر المفجع بوفاة والده أو والدته فلا تمر بنفسه عظة ذكرى الموت وقصر الحياة الدنيا ولكن يداخله السرور لأنه سيرث المال والعقار .

ويطرح البروفسور ريجلر السويسرى (استاذ الفسيولوجي فى جامعة جنيف) فى نظرياته عن الموت والأحياء مأساة كبار السن فى

المجتمعات المتقدمة الذين اصبحوا غير مرغوب فيهم ويجب عليهم ان يرحلوا وكيف يلفظ الانسان بعد ان يتقدم به السن ويوضع فى دار المسنين وقد حرم من عواطف الأسرة .

هذا وجه من وجوه حضارة الغرب لا يقره الاسلام الذى دعا إلى الرحمة والى رعاية الآباء والأمهات عندما يبلغوا الكبر .

ويقول البروفسور سيمون جارحى (جامعة جنيف) :

إن الغرب قد فقد المرتكزات الروحية والثقافية والدينية التى كان يرتكز عليها فلم يعد هناك شىء يركن اليه ، فالديانة النصرانية فقدت مقوماتها والتوق إلى الروحانيات انتهى واضمحل فى النفوس فأصبح فى الغرب نوع من الفراغ ونوع من الضياع الشامل ، تكتوى به الأجيال الشابة . إننى اعتقد الآن أن حضارتنا الغربية فى حالة احتضار واننا نعيش نوعا من موجة التحول التى لا نعلم ماذا سينتج عنها ، نحن نشاهد حضارة تنازع وتوشك ان تموت ولابد ان تنشأ عنها حضارة جديدة ، نحن نعيش فى نفق مظلم ولا نزال ننتظر النور الذى سيهدينا .

ويقول جاك بيرل فى كتابه الأخير (الاسلام على مستوى الكون) :

(ليس غير الاسلام دينا يصلح على مستوى الكون . انه الاجابة فى البحث عن عقيدة تنتشل روحه وآدميته من هوة الظلمات المادية التى يتردى فيها) .

ويقول دكتور ماكس فريش : اننا نعيش فى فراغ ايدلوجى بمعنى ان المفاهيم والايدلوجيات التى بين ايدينا : الماركسية من جانب والليبرالية الراسمالية ، فقط من جانب آخر ، أصبحت ادوات لا تطابق الواقع الذى نواجهه ، هذا الفراغ الايدلوجى فراغ خطير ولفظ ايدلوجى بمعنى عقائدى وفكرى ، هو فراغ (قيم) ، أى نقص فى القيم ، وتبعه ذلك أن ضروبا كبيرة من لغة السياسة ومفاهيمها ليست اكثر من كلشيهات ، أو تعبيرات رائجة بلا مضمون حقيقى ، نحن نعلم ان العالم قد فقد

الروابط والابعاد من الناحية الفكرية والتعليمية وعندما نتحدث عن قضايا الشخصية الذاتية ليس على المستوى الفردى فحسب إنما على المستوى القومى والوطنى ، فإن هذه القضية لا تواجه العالم العربى وحده أو العالم الثالث وانما ايضا بلدان وسط اوربا . ان الحضارة الامريكية تمثل إنحرافا حضاريا بالمقارنة إلى اصولها الاوربية . لقد فاجأتنا التكنولوجيا وتغلغلت فى حياتنا واصبحت تقدم لنا اشياء لم نطلبها من الأصل ومع ذلك فعلينا ان نتعامل مع هذه الأشياء الجديدة التى تقدمها لنا .

إن العالم الثالث قد غمرته منتجات العالم الأول بما تحمله من سلبيات وعناصر مخربة ، قد اجتاحت العالم الثالث تكنولوجيا العالم الأول فى صورها السلبية الطاغية ، نحن لانقدم للعالم الثالث حضارة جديدة او حضارة مكملة ، كما حدث فى تاريخ الحضارة المصرية عندما اندمجت فيها حضارات الاغريق والرومان ، لقد دخل عنصر حضارى طغى على جميع اوجه الحياة) .

هذا هو تقييم الغربيين أنفسهم لحضارتهم التى نقلت إلى مجتمعاتنا وفرضت عليها دون ان تكون لدينا الارادة الحرة فى قبول ما هو صالح منها وما ليس صالحا بل لقد ظهر من قومنا دعاة إلى أن نأخذ الحضارة خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب .

○ ○ ○

واليوم وقد خفت حدّة الانبهار وتكشف لنا خطأ المتابعة أو التبعية يجب أن ننظر فى يقظة إلى ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربى فى قضية الحضارة .

لقد تشكلت حضارة الغرب من نسيج من القوة والطغيان والأثرة وحب الذات والانانية وقد قامت على أساس فلسفتها الاستعمارية والتفرقة العنصرية ، إنها حضارة اللذة والمتعة وعبادة المرأة والعلمانية والمادية واستعباد المرأة تحت اسم تحريرها ، حضارة لا مكان لها فى قاموس

المثل والقيم الشريفة .

كذلك فقد عجزت الحضارة الغربية المعاصرة عن حمل امانة العدل والرحمة والاخاء البشرى واستبدلت ذلك كله بالظلم والقسوة واقامت فى نفوس اهل البشرية : الخوف والجزع وجرت كل مجرى فى سبيل تقديم منهج حياة بشرى قوامه الفردية او الجماعية وقد تبين فساد المنهجين وعجزهما عن العطاء .

وبذلك فقد كان على البشرية ان تعود مرة اخرى إلى منهج الله فهو القادر على اعطائها الطريق الصحيح .

لقد سبق المسلمون إلى ما فطن اليه الغربيون بعد مئات السنين فوضعوا القواعد الاساسية للمنهج التجريبى ومنهج المعرفة واوجبوا على الباحث من بداية بحثه ان يطهر عقله من كل ما يحويه من افكار حول موضوعه خشية ان يتلف بحثه ويوجهه إلى غير ما تقتضيه منهجية البحث .

لقد كانت الحيدة والانصاف من النفس والبعد عن الهوى والاعتراف بفضل السابقين مهما كانت نحلهم ديدن الباحث المسلم ، الذى صحح اخطاء السابقين واعترف بالفضل لكل من قدم اضافة حقيقية ، وعندما رفض ما تختلف مع عقيدته كان سمحا ومنصفا .

فقد أقام منهجه العلمى على اساس الالتزام بتعاليم الاسلام وبأخلاقية العلم والحياة ، وبالعلم النافع الذى يُصلح أمر الدنيا والآخرة ، ولم يتوقف عند العلم الدينى بل اعتبر العلم كله قضية حياة . وعندما قدّم المنهج التجريبى استمده من القرآن ، وعندما قدم منهج المعرفة جعله موازيا لخلق الانسان ، روحا ومادة ، وقلبا وعقلا ، ودنيا واخرى ، وحرر العقل البشرى من الانقياد لغير الله ، كما حرر الانسان من عبودية الانسان ، وحرم المحرمات لحماية كيان الانسان نفسه ، وكون الفرد على الخيرية وخدمة المجتمع والإيثار والبذل .

وقدم ذلك كله للغرب ، غير ان الغرب الذى كان قد شكل ثقافته على الفكر الاغريقى الوثنى والفكر الرومانى المادى والفكر المسيحى (المحرف عن رسالة السيد المسيح) والمؤمن بأسطورة الإله المتجسد ، لم يستطع ان يقبل منهج الاسلام فى البحث العلمى ولا فى المعرفة ، واكتفى بأن نقل العلوم التجريبية وصاغها فى بوتقته فكان من نتائجها :

اولا : إنكار البعد الإلهى للحضارة والمجتمعات ونسبة الأمور إلى مايسمى بالطبيعة .

ثانيا : انكار البعد الأخلاق ، وذلك على اساس الاستعلاء بالعنصر والجنس .

ثالثا : إنكار فضل الحضارة الاسلامية على الحضارة والعلم حتى ليقول لوبولد فابس (محمد اسد) ان احتقار الاسلام اصبح جزءا اساسيا من التفكير الاوربى وان هذا الاحتقار التقليدى أخذ يتسلل فى شكل تجزيتى غير معقول إلى بحوثهم العلمية .

ولكن بعض العلماء المنصفين — من غير المستشرقين — سجل فضل الاسلام ، ومن ذلك ديفونويت فى كلمته (إعتذار إلى محمد والاسلام) .

(يجب ان نعرف بأن علوم الطبيعة والفلك والرياضيات وغيرها التى انعشت اوربا منذ القرن العاشر مقتبسة من القرآن ، بل ان اوربا مدينة للاسلام باكثر من ذلك لأن الدين الذى امر دستوره بالشورى ونهى عن الاستبداد فى قوله ﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾ ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ قد فتح امام الانسانية باب الحقوق المدنية .

وبالجملة فالمسلمون هم الذين انقذوا أوربا من عهد الظلام الذى كانت ترزح تحته فى ظلام دامس وهم الذين اخرجوهم من الظلمات إلى النور وحفظوا لهم آثارهم من علوم وطب وهندسة ويعتبر المسلمون بحق اساتذة اوربا) .

ويقول العلامة سبنسر فامبرى :

(لا يستطيع عالم واحد أن يتأمل القبة الزرقاء دون أن يلفظ اسما عربيا ولا يستطيع عالم طبيعى ان يحلل ورقة من الشجر او تفحص صخرة من الصخور دون ان يتذكر درسا عربيا ولا يقدر أى قاض ان يبت اليوم فى اختلاف دون ان يستدعى مبدأ أملته العرب ولا يسع اى طبيب ان يتأمل دائرة احد الأمراض المعروفة منذ القدم إلا أن يهمس بآراء طبيب عربى ولا يستطيع أى رحالة ان يدلف إلى أبعد زوايا آسيا وافريقيا دون ان يعمد إلى اللغة العربية فإن انتشارها قد بلغ من الذيوع والسعة بحيث يؤكد البعض دون مبالغة ان خمس شعوب الكرة الأرضية يتكلمون العربية فإذا ذكرنا ان العرب طوال قرون ثمانية فى الاندلس مستودع اعظم العلوم فى ذلك الحين فإنه يؤسفنا ان يعتقد ان مادة غير محدودة من التاريخ العلوم والاجتماع والحقوق قد وصلتنا من تلك الأرض) .

لم يكتف الغرب بإنكار فضل المسلمين ولكنه ذهب إلى ابعد من ذلك ، ذهب إلى محاولة اخراج المسلمين من قيمهم ، وفرض مفهوم غربى وثنى مادى عليهم ، يقول ليوبولد فابس (محمد اسد) : (إن العلة الوحيدة للانهيار الاجتماعى والثقافى لدى المسلمين إنما ترجع إلى توقفهم تدريجيا عن اتباع روح التعاليم الاسلامية ولقد وجدت إن الاسلام ما زال موجودا ولكنه مجرد من الروح ، وبقدرما ادركت كم هى صلبة وكم هى عملية تلك التعاليم ، بقدر ما ثار فى اعماقى التساؤل عن سبب انصراف المسلمين عن تطبيقها فى حياتهم العملية) .

هذا الاعجاب بالغرب والانبهار به هو سر هذا التخلف .

إن على المسلمين ان يخرجوا من دائرة التبعية والولاء للحضارة على انها منطلق للنهوض ، فالمناهج الوافدة فى مدارسنا وفى الغرب توحى بأمرين :

اولا : إن هذه الأمة متأخرة ومصدر تأخرها دينها .

ثانيا : ان هذه الأمة لا تنهض إلا باقتباس اساليب الغرب وكلا القضيتين فاسدتين وظالمتين .

ووجه القصور : ان المسلم لم يقدم له مفهوم الاسلام كاملا ، ولم يتعرف على ابعاد القيمة الحقيقية للاسلام والاسلوب الذى يجب ان يعمل به المسلم لبناء مجتمعه وحضارته من جديد .

ومن هنا فنحن فى حاجة إلى الكشف عن عدة حقائق اساسية لتصحيح هذا الطريق :

اولا : ان هذه الحضارة الغربية الباهرة بدأت من الاسلام ثم انحرفت عنه وانها الآن فى مرحلة السقوط لأنها خالفت منهج الله تبارك وتعالى واندفعت باهواء الانسان ومطامعه وان هذه الأزمة التى تحيق بها اجتماعيا واقتصاديا مصدرها غياب البعد الالهى عنها وقصورها عن السير فى طريق اسلام الوجه لله وعملها على تدمير القيم والاسراف فى تبديد الثروة الطبيعية والقصور على جانب الاستهلاك والاستعلاء بالقوى الذرية والهيدروجينية فى صراع القوتين .



الفصل الثانى

التـــاريخ والـــتراث

إن نظرة الاسلام الصحيحة إلى التاريخ والتراث تختلف عن نظرة الغرب ، أو تختلف عن الواقع الذى قدمه لنا الاستشراق فى هذين المجالين الهامين . ومن هنا وجب أن يعاد النظر فى كتابة التاريخ الاسلامى والتراث الاسلامى على نحو اكثر أصالة ومستمد من مفهوم الاسلام .

ذلك أن ما قدمه لنا الاستشراق فى هذا المجال كان مشوبا بهدفه وغايته هو أن يحول دون قيام الحس التاريخى اليقظ الذى يعطيه فهمه لحقائق التاريخ وما حققه من انتصارات فى مجالات المقاومة والمواجهة مع الغاصبين ، فإن هدف كتابة السيرة العصرية والتاريخ ترمى أساسا من وجهة نظر التغريب إلى إطفاء أنوار العطاء الإلّهى فيهما ، ذلك أن كتابة السيرة والتاريخ بمنهج مختلف عن منهج الاسلام من شأنه أن يقضى على الوهج العظيم الذى يجب أن يملأ قلوب المؤمنين ، وفى مقدمة الطريقة العلمانية : إنكار المعجزات والجوانب الغيبية والاعراض عن الجوانب ذات الصلة بالايمان والعقيدة واليقين والتقوى وقوانين الاسلام فى النصر وفى قيام المجتمعات والحضارات وهذه هى أخطر المغامز التى تتصل بكتابات تلاميذ المستشرقين من التغريبيين ومن دعاة المذاهب القومية والعلمانية والعالمية الذين يهدفون إلى طمس معالم التاريخ الاسلامى .

يقول الدكتور عمر فروخ : ان المستعمر كتب لنا تاريخا مصنوعا يبرر فضل استعماره لبلادنا ومضى على هذا النسق أولياؤه فأصبح هذا التاريخ يمثل جانبا من ماضينا الضعيف المخزى ثم لا يمثل وعينا الحاضر ولا يوافق أملنا فى الوثوب إلى مستقبل أليق .

ويرى الدكتور فؤاد فخر الدين : ان المستشرقين يتغافلون عن دور العقيدة فى بناء الأحداث ويقيسون الوقائع بالمقياس البشرى أو المادى الخالص ومن ثم يصوبون ويخطئون من هذا المنطلق المادى الخالص .

اولا : ذلك ان مفسر التاريخ الاسلامى لايمكن ان يؤدى عمله بعيدا عن العقيدة لأن العقيدة هى التى صنعت التاريخ وعن طريقها يمكن ان تفسر الأحداث وتفهم ، كذلك فإن المؤرخ الغربى لم يدخل مجال التاريخ خالى الذهن ، بل دخله ولديه خلفيات مسبقة ورواسب الماضى من تعصب ضد الاسلام وثأر تاريخى ضد أحداثه وقد حاول من خلال هذه الكتابة ان ينفس عن هذا التعصب وأن يمارس عمله من واقع هذا التيار التاريخى .

ثانيا : إن الاوربى فى العصر الحديث يكتب التاريخ وفى ذهنه اعتقاد بأن الغرب هو محور الأحداث ، ومحرك الوقائع ومن ثم يفسر الوقائع السابقة من هذا المنطلق ، ومن خلال هذا الانطباع الحديث مع أن اوربا لم تكن محور الأحداث إلا فى القرون القليلة الأخيرة بل لم تكن اكثر من مرحلة من مراحل التاريخ الطويل .

كذلك فقد كان للنفوذ الاجنبى أثره فى تحريك الأحداث نفسها ضد وجهة النظر الاسلامية ومن ذلك التعتيم المتعمد على حركات الاصلاح التى وقعت فى التاريخ القديم والحديث ووقوفهم وراء الحركات الهدامة التى اثارت الغبار حول الاسلام ووصفهم فى كثير من الأحيان هذه الحركات بالثورية ، ومن ذلك تجزئة التاريخ ، دون النظر إلى أنه تاريخ أمة واحدة تعبد ربا واحدا ولها تاريخ واحد ، ومن ذلك وصفهم الهجمات الاستعمارية التنصيرية على البلاد الاسلامية بأنها بداية النهضة والتغيير ، وهذا واضح فيما اطلق عليه اسم (الكشوف الجغرافية) حيث كانت استعمارا وتنصيرا فى الواقع وتسميتهم للممارسات الاستعمارية الفرنسية فى مصر بالحملات مع أنها كانت استعمارا وغزوا بل ربط بعضهم بين بداية تقدم الدول العربية وبين الحملات والهجمات الاستعمارية الحديثة) .

وهكذا نجد ان هناك فروقا عميقة بين المفهوم الاسلامى للتاريخ وبين

المفهوم الغربى الوافد الرامى إلى فرض فضل موهوم للغرب على بلاد المسلمين وعلى نهضتهم الحديثة .

وهم يقفون هذا الموقف المضلل أمام التراث الاسلامى فى محاولة تطبيق مفاهيم الغرب فى النظرة الى التراث الغربى على التراث الاسلامى مع الاختلاف الواضح العميق بينهما ، ذلك ان التراث الغربى فى مجموعه ليس إلا ركاما من الأساطير والخرافات وحتى فى كتبهم المقدسة فإن النصوص منسوبة إلى البشر ، من حكماء وفلاسفة ، وليس فيه شيء له قداسة الكتب المنزلة ، وقد توالت الأبحاث التى كشفت عن بشرية هذا التراث واضطرابه وخلطه فضلا عن غلبة اساطير اليونان والرومان عليه .

ولما كانت نظرة الغرب إلى تراثهم واهية فقد حاولوا ان ينقلوا هذه النظرة إلى التراث الاسلامى الذى يختلف تماما ، والذى يقوم اساسا على نصّين مقدسين : هما القرآن الكريم والسنة ، وما جاء بعد ذلك من آثار علمية فى الفقه والتفسير والعلوم واللغة والتاريخ فهو متصل بهما ومن هنا اختلفت النظرة فليس تراث الاسلام (أكفان موتى وأضرحة قبور) كما يوصفه التراث الغربى .

كذلك فإن الدعوة المسمومة إلى الانفصال عن التراث التى يروجونها فى افق الفكر الاسلامى لا يعترف بها احد ، بل أنهم لا يقرونها بالنسبة لتراثهم المضطرب الزائف فكيف يمكن أن يقرها المسلمون بالنسبة لتراثهم القرآنى المصدر ، الحافل ، خاصة فى مجال العلوم التجريبية والعلوم الاجتماعية وغيرها بالاضافات والمعطيات التى اهتم بها الغرب وبنى عليها القوانين والنظريات .

واخطر ما فى أمر التراث ان نهضة المسلمين الجديدة والمتجددة لا يمكن ان تبنى على الفكر الوافد من الغرب ولابد ان تبنى على تراثهم الأصيل الذى سجل تجربة واسعة من التعامل الاقتصادى والاجتماعى

حيث شمل معطيات ضخمة (فى مجال الزراعة والتجارة والصناعة والمال والحرف تمثل قدرة المسلم على الحركة فى صميم العالم واستثمار كنوزه ، وطاقاته ، وتنمية موارده ، من أجل توسيع مصادر الثروة والارتفاع بالمستويات المعاشية) وكان شعار المسلمين واضحا فى هذا الميدان مستمدا من كتاب الله تبارك وتعالى نفسه : ﴿ **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** ﴾ حيث كان العمل الاقتصادى دائما جزء من العبادة التى يتقرب بها المسلم إلى الله . بحيث لا يصح الاقتصاد وهو الوسيلة والهدف وغاية الغايات فى المجتمع الاسلامى بل تكون الغاية هى بناء المجتمع الربانى اساسا .

ومن هنا فلابد ان يكون واضحا امام الشباب المسلم المثقف مدى الفوارق العميقة بين مفهوم الاسلام ومفهوم الغرب الوافد ، وتحرير اسلوب كتابة التاريخ أو دراسة التراث الاسلامى من التبعية .

فالتاريخ الاسلامى : هو تاريخ الأمة الاسلامية جميعها منذ بزغ نور الاسلام إلى اليوم وأرضها هى أرض الأمة الاسلامية ، فالاسلام دين وجنسية وتصبح سياسة التقسيم إلى أقاليم أو إلى عصور من عمل التغريب ، وأن تتجلى الفكرة الاسلامية فى الأحداث ويكشف عن عطاء الحضارة الاسلامية التى تتناقلها دوائر المعارف الحديثة ، وإبراز التاريخ العلمى والثقافى لبلاد المسلمين ، مما يؤكد دور المسلمين فى مجال الدراسات الاجتماعية والفقه السياسى فضلا عن التقدم العلمى فى مجال الرياضيات والطبيعيات والفلك واثبات أن كثيرا من المفاهيم والنظريات القائمة الآن قد سبق بها علماء الاسلام منذ زمن بعيد .

ولا ريب أن (إبراز دور العقيدة فى صياغة الأحداث) كما اشار اليها كثير من الباحثين وفى مقدمتهم الدكتور فؤاد فخر الدين لها اهميتها الكبرى .

كذلك فإن الاسلام له مفهومه فى قضية التخصص ، ذلك ان

الاسلام يرفض تقسيم الفكر الاسلامى إلى عناصر يبدو كل منها مستقل عن الآخر أو قائم بنفسه ولكنه يقرر (وحدة الفكر الاسلامى) وتكامله ويرفض نظرية الانشطارية الغربية ولذلك فإن للتخصص عنده محظورات واضحة .

فلابد أن يكون الباحث الاسلامى مؤمنا بوحدة الفكر الاسلامى قادرا على التعرف على مختلف جوانبه ومدى تفاعلها ولا يمنع من أن يكون هناك تخصص فى اطار الدراسات العليا فى فن من الفنون ، ولكن ذلك لا يطغى ليجعل هذا العلم أو هذا الفن منفردا بنفسه او مستقلا ، او مستعليا بل يجب أن يتحرك فى اطار المفهوم الفكرى الاسلامى الجامع حماية للمجتمع من ان يكون للأدب مثلا أو للعلم أو للاجتماع مزية الحرية بما يؤثر على الجوانب الأخلاقية أو يكون مدعاة للتحرر من الالتزام الأخلاقى .

وكذلك فإن حرية العقيدة فى الاسلام لها مفهوم يختلف عن مفهوم الفكر الغربى فلا يكون صاحب الرأى المخالف لمفهوم الاسلام داعية له أو معلنا به ليفسد عقائد الناس ، فإن الاعلان بالالحاد أو بالرأى المخالف يكون موضع الحساب . ويرفض الاسلام المفهوم العلمانى الذى يرمى إلى الدفاع عن حق المرتدين من الملحدين والماركسيين والبهائيين أما حق الانسان فى تبديل عقيدته فهو جائز شريطة ألا يبشر بما يثير الشبهات فى نفوس الآخرين .

الفصل الثالث

العلمـــــانيـــة

العلمانية فى كلمة : هى فصل الدين عن المجتمع والدولة وقصره على العلاقة بين الله والانسان وهو ما يعرف فى الغرب باسم اللاهوت وبعض الأديان هى كذلك ، ولكن الاسلام يختلف ، فهو دين عبادة وشريعة وأخلاق فى نفس الوقت ، وفكرة العلمانية ظهرت فى اوربا نتيجة عدة عوامل منها موقف رجال الدين من النهضة ، ومعارضتهم للكشوف العلمية ومنها هدف اليهود من القضاء على سلطان المسيحية فى المجتمع الغربى وبذلك تتاح لهم السيطرة السياسية والنفوذ العسكرى ومن هنا يبدو ذلك البغض الشديد للدين فى فلسفات عديد من الفلاسفة التلموديين : امثال نيتشة وماركس وفرويد وقد تأثر العالم الاسلامى والفكر الاسلامى بظلال هذه النظرية وهذه الدعوة وكان للبعثات التبشيرية والارساليات وسيطرة النفوذ الاستعمارى على مناهج التربية والتعليم أثره فى إعلاء هذا الاتجاه وتعميقه بعد عزل الاسلوب العلمى الدينى الذى يتمثل فى المدارس والجامعات الاسلامية القديمة .

لقد وقف الغرب بالعلمانية ضد اشياء كثيرة عزلها عن المجتمع ، واهمها الترابط بين الدين والدولة ، وبين الدين والمجتمع ، وبين الدين والأخلاق وبين الدين والقومية .

أما نحن فى مجال الاسلام فالأمر يختلف تماما : فالاسلام ليس دنيا بمفهوم اللاهوت ولكنه منهج حياة ونظام مجتمع وعلاقة ذات طرفين : أو جناحين بين الله تبارك وتعالى وبين الناس بعضهم البعض وهو الذى صنع الدولة فلا خلاف معها وهو الذى بنى المجتمع وانشأ القومية والأخلاق جزء منه ، ومن هنا لا تجد العلمانية فى مجتمعنا ما يؤيدها .

لقد كانت المسيحية مجموعة من الوصايا لأنها تابعة للدين الموسوى وحلقة من حلقاته فلما انفصلت أرادت ان تنشىء نظام مجتمع فانشأت مفهومها بشريا ضاق عن الاحاطة بنظام الله تبارك وتعالى الجامع ومن هذه النقطة بدأت كل ازمات الحضارة والفكر الغربى .

وكما يرفض الاسلام العلمانية التى تنادى بفصل الدين عن الدولة ، فإنه يرفض بالمثل الدولة الدينية (البثوقراطية) التى تنادى بسيطرة رجال الدين على الدولة .

ولقد كان من أكبر أهداف الاحتواء التغريبى إبعاد الدين عن المناهج التربوية الاسلامية من اجل إخراج أجيال ليس لها هدف ولا غاية ولا تحكمها قيم ، فقد تركزت دعوات الفلاسفة الماديين على التخلص من قيود الدين تطبيقا لأهداف الماسونية التى وضعت الخطط لنشر مذاهب الالحاد وجاءت الماركسية تدعو إلى إنكار الدين جملة وهدمه واقامة (صراع الطبقات) كمقدمة ضرورية نحو عالم يكون فيه الانسان سيد نفسه وتمكنت فى الغرب الدعوة إلى الغاء سلطة الدين وسلطة الأخلاق واستبدالهما بالحزب .

وقد دعت محافل الماسونية (التى استبدلت بمحافل الليونز والروتارى) إلى الحرية المطلقة والاختلاط بين الجنسين واقامة مدن العراة وتشجيع الرحلات والنوادى الرياضية وعدم الايمان بالوطن أو الدين أو الأرومة .

ويقول الدكتور عبد الصبور شاهين : (إن العلمانية مصطلح لم يوجد إلا فى ظروف الصراع بين الكنيسة والدولة حول السلطة فرأى المفكرون آنذاك ان الحل يكمن فى ابعاد الكنيسة عن السلطة واطلقوا على الوضع الناشيء من هذا الابعاد وصف : العلمانية ثم تطور هذا المفهوم حتى جاء ماركس ومدرسته وتطور مفهوم العلمانية عندهم إلى معنى القضاء على الدين تماما لتحقيق العلمانية الحقة وأطلق عليها اسم العلمانية المتطرفة . فالعلمانية فى كل أحوالها مفهوم سياسى — لا حضارى — يهدف اما فصل الدين عن الحياة واما القضاء العام عليه وكلا المفهومين مرفوض من وجهة نظرنا نحن الاسلاميين ونحن نملك من الشجاعة ما يؤهلنا إلى إعلان رفضه لأننا نريد العمل بشرع الله وإقامة نظامه فى الأرض ونحن لا نجد فى غايتنا هذه ما كان يجده الاوربيون من تناقض

بين مراد الدولة واهواء الكنيسة .

فإن المسجد لم يكن ولن يكون مركز سلطة أو أداة صراع عليها ولم يحدث أن تناقضت غاية الدولة مع غاية الاسلام لأن الاسلام هو ارادة الله لا إرادة العلماء) .

الفصل الرابع

النفس والأخلاق

يختلف مفهوم الاسلام عن مفهوم الفكر البشرى (اليهودى المسيحى الوثنى المادى) فى أكبر مجالاته : النفس والأخلاق .

ويرتبط مفهوم الفكر البشرى (مجال النفس والأخلاق) بالتحلل من القيم والضوابط والحدود التى يقررها الاسلام ويلتزم بها المسلم .

وعلم النفس الفرويدى المسيطر الآن على الساحة : هو علم الجنس والهوى وتدمير الانسان وهو دعوة إلى الجبرية وفصل العلم عن التطبيق وفى الاسلام : العلم شجرة والعمل ثمرتها ، وان العلم بلا عمل جنون والعمل بلا علم لا يكون عملا ، هذا فضلا عن اختلاف ما يسمى علم النفس الفرويدى مع مفهوم الاسلام بل مع مفهوم الفطرة .

ولقد كشف الدكتور صبرى جرجس الذى عاش اكثر من خمسين عاما داعية لعلم النفس الفرويدى — إنه وجد أن نصوص هذا العلم مأخوذة تماما من التلمود ومن فكر يهود لتهديم البشرية لقد كان هذا المنهج مقدمة لتقنين الاباحية فى الفكر الغربى باعتبار ان الجنس عملية بيلوجية لا علاقة لها بالأخلاق ، وان الدين مسألة شخصية لا علاقة لها بواقع الحياة .

والاسلام لا يقر هذه المسألة الباطلة ولا يقبلها . ولقد حاول الفكر الغربى اضفاء شرعية الكتابة المكشوفة على الأدب العربى الحديث بدعوى انه توجد كتابات قديمة فى عصور استعلاء التيار الشعوبى (ابو نواس وبشار والضحاك وغيرهم) ولكن هذه الكتابات كانت مرفوضة من جماعة المسلمين كما رفضت الفلسفات اليونانية والمجوسية تماما ، أما فى الغرب فإنه لما منعت رواية لورنس (عشيق اللورد تشارلى) اعلن الناشر الامريكى ان فى (التوراة) صور من الشذوذ الجنسى تفوق ذلك وان القصص العارية فى الكتاب المقدس فيها أبشع وأدعى للاشمئزاز مما كتبه لورنس وغيره .

ولقد إقترن الانحلال بموجة الالحاد تحت اسم العلم وحرية البحث

وهى التى تدفع إلى الفساد والحرام ، ولا ريب ان روائع الأدب الغربى التى يتحدثون عنها تقوم على اساس هذا النوع من الاباحيات والدعوة إلى اعطاء الشهوة منطلقها دون النظر إلى حد أو ضابط أو خلق وان كل الروايات العالمية الخالدة ! تمثل هذا وان اوسكار وايد الذى سجن من اجل روايته المكشوفة هو الذى صنع اليهود باسمه جائزة لأحسن فيلم مكشوف هى جائزة (الاوسكار) .

ولقد انتصرت نظرية الجنس فى علم النفس على عدة نظريات اخرى لأن من ورائها التلموديون الذين يعملون على اذاعة روح (عبادة الجسد وتقديس الشهوة) . وقد ترجمت مئات من هذا القصص إلى اللغة العربية بقصد افساد منهج الأدب العربى .

ويكثر كتابنا من ايراد الأمثلة والحكم من كتاب الغرب ويفخرون بذلك ويزهون كأنما وقعوا على كنوز حقيقية ولكن ما من عبارة من هذه العبارات التى لا يفتأون يرددونها إلا وهى حق فى مفهوم الاسلام أو باطل فإن كانت حقا فإن فى القرآن والسنة والأدب العربى وكلمات الحكماء المسلمين مايساويها او يرتد عنها وما هو المحق منها أما إن كانت باطلة فإن فى الفكر الاسلامى ما يردها ويكشف زيفها .

إنهم يتحدثون عن جمال الطبيعة ولكنهم لا يذكرون يد الصانع الاعظم الذى ابدع هذا الجمال ، وقد اصبح شعراؤنا العرب يفعلون ذلك الآن مع الأسف ، كذلك فإن العلماء الذين يتحدثون عن الكواكب والمجرات هم فى غفلة عن صانعها ومحركها جل شأنه .

وأخطر ما تقوله المذاهب الاجتماعية الغربية : ان الاخلاق ليست قيمة ذاتية ولا هى ثابتة على وضع معين ، فإنما تأخذ صورتها فى المجتمع الذى توجد فيه وان المجتمع هو الأصل فى كل الظواهر الاجتماعية وليس الانسان .

ولا ريب أن طرح هذه المفاهيم واستمراريتها عن طريق الصحافة

والكتابة والاذاعة وتطعيمها القصص والمسرحيات والافلام السينمائية من أخطر المحاولات التى ترمى إلى جعلها مسلمات فى نظر الشباب المسلم وفى نظر الذين لم يحصلوا بعد على ثقافة اسلامية كاملة واصيلة .

والهدف هو نفى القداسة عن الدين ونفى الثبات عن الأخلاق والتشكيك فى قيمها ولهذا أثره الواضح فى المجتمع ، ذلك الأثر الهدام للمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى وهو ماقدمته فلسفات دارون ونيتشة وماركس وسارتر وفرويد ودوركايم .

وليس صحيحا ان هناك جبرية مفروضة على الانسان والمسلم لا يقر هذا الرأى والاسلام نفسه قادر على ان يخلص الانسان من آثار البيئة والوراثة ، فليست آثار البيئة والوراثة حتمية أو جبرية مفروضة ، ولكن التربية والتزكية والقدرة على التحكم فى الأمور ومخافة الله تبارك وتعالى والرغبة فى رضاه ، تستطيع ان تغير العادات وتحطم الأعراف ، وتقضى على آثارها ، وتحول الانسان إلى كائن قادر على الصبر والصمود والامتناع عن الجريمة والفساد ، وتجعله قادرا على معارضة الشر الذى فى نفسه والأهواء التى تتصدى له .

وليس هناك فى الاسلام قبول بالجبرية تحت اسم (مسئولية المجتمع) أو العقل الجمعى أو غيرها من زيوف المدرسة الاجتماعية التى تريد ان تحطم مفهوم المسئولية الفردية او تقول بأن المجرم غير مسئول لأن تركيبه النفسى أو البيولوجى (الصادر عن وراثياته وآثار البيئة فى مطالع شبابه) هو مصدر الجريمة كل هذا هباء لا قيمة له ازاء مفهوم الدين الحق القادر على تحويل الانسان إلى الخير وتمكينه بالتقوى من السيطرة على غرائزه واهوائه وبالتصبير والتحكم فى مواجهة الحياة .

الفصل الخامس

القـــانون

إن الخلافات بين مفهوم الاسلام للقانون وبين مفهوم الفكر الغربى بعيد وعميق ومتصل بالنفس الانسانية فى كافة قيمها ومظاهرها :

اولا : الشريعة الاسلامية نظرت إلى الانسان على انه روح وجسد وانه مركب منهما بينما لم ينظر القانون الغربى إلا إلى الجانب المادى وحده ، وقد قسم الفقه الاسلامى على اساس العبادات والمعاملات والعقوبات بينما قسم الفقه الغربى على اساس الاشخاص والأشياء والخصومات .

ثانيا : لا مشابهة بين الشريعة الاسلامية والقانون الغربى فى أمور النكاح والطلاق فالاسلام لا يعرف إلا قسما واحدا من النكاح هو عقد يجمع بين الزوجين برضاهما أما فى الفكر الغربى فهناك اصناف عديدة للنكاح الجائز بينما يعتبر اكثرها عند المسلمين كالزنا .

ثالثا : قانون الوراثة وتقسيم التركة عند المسلمين يغاير ما عند الغربيين وكذلك نظام القضاء وآداب القصاص .

والقانونان يختلفان حتى فى المعاملات المالية ، وأهم من ذلك ان الربا غير محرم عند الغربيين . وحتى فى اساس التجارة يختلف عندهما ، فالبيع عند الفقهاء عقد برضا العاقدين وهو عند الغربيين عقد يتعلق بالمال ، وفى القتل تشكل العقوبة عند المسلمين حسب النية من حيث العمد أو الخطأ وهو ما لا يوجد عند الغربيين وكذلك الدية والقصاص عند المسمين .

رابعا : والحدود فى الشريعة تتعلق بقتل الانسان والسرقة والزنا والقذف وشرب الخمر والارتداد وهى ليست موجودة فى القانون الغربى والزنا والقذف وشرب الخمر ليست محرمة فى الغرب ومن ثم فلا عقاب عليها .

ولقد بات واضحا انه منذ فرض القانون الوضعى على بلاد المسلمين فقد تبين عجزه عن تحقيق الأمن فى المجتمع وعدم قدرته على استيعاب

مطالب المسلمين ومشاكلهم وبدا قصوره واضحا فى هذا الميدان وكان ذلك طبيعيا فى مجتمع عاش حياته فى نطاق الشريعة الاسلامية . ذلك لأن هذه القوانين الغربية قد وضعت لمجتمع غير مجتمعنا ولعرف غير عرفنا وفى ظل ظروف تختلف تماما ، فالمجتمع الاسلامى العربى يقدس العرض ويكرم العلاقة بين الرجل والمرأة ويضعها فى أعلى مكان ويرسم لها أرقى النظم واكملها واقدرها على حماية الأسرة والمجتمع ، ومن المسلم به كما يقول الدكتور عبد الواحد وافى ــ إن القانون فى امة من الأمم انما يستمد مواده من قيم المجتمع واخلاقياته وعاداته واعرافه ولما كانت هذه القيم والأعراف فى المجتمع الاسلامى راعية الفضيلة فقد عجزت هذه القوانين ان تستجيب لمجتمعنا وآية ذلك انها منذ ذلك التاريخ إلى اليوم وقد مضى عليها قرابة قرن فإن النفسية الاسلامية لا تستسيغها ولا تقبلها ولا تجدها متصلة بها أو مستجيبة لها وأبرز وجوه النقص انما يتمثل فى القانون الجنائى حيث يقضى القانون الوضعى بعدم توقيع عقوبة على جريمة الزنا أو هتك العرض ويحتال فى إيجاد الوسائل لتبرير هذه الجريمة ويرى ان رضا الطرفين وارتفاع السن عن ثمانية عشر عاما ووقوع الجريمة فى غير منزل الزوجية كل هذه تعللات لعدم توقيع العقوبة وهذه الحالات التى يعفى فيها الزانى والزانية وهاتك العرض عن العقوبة تشمل فى الواقع معظم الحالات التى تحدث فيها هذه الجرائم لأنه من النادر أن تحدث هذه الجرائم بغير رضا الطرفين ، إنه من النادر ان يرتكب زوج جريمة الزنا فى المنزل الذى يقيم فيه مع زوجته . وهذه المواد مقتبسة مع تغيير يسير من قانون العقوبات الفرنسى وعن هذا القانون استمدت معظم القوانين الاوربية والامريكية .

ولقد كان لهذه القوانين المخالفة للاسلام أثرها البعيد فى زلزلة نظام المجتمع والأسرة ، واشاع الفاحشة والفجور والانحلال وكان ذلك وسيلة لاذلالنا والسيطرة علينا .

وقد ارتفعت الدعوة بالمطالبة بمراجعة هذه القوانين وتغييرها بقوانين طابقة للشريعة الاسلامية .

○ ○ ○ ○

ويحاول النفوذ الاجنبى فى بلاد المسلمين احتواء الشريعة الاسلامية وذلك بالدعوة إلى الملاءمة بين الأحكام الدستورية فى الشريعة الاسلامية وظروف الحياة المتغيرة المتطورة وهى دعوة مسمومة الهدف منها تنازل المسلمين عن بعض القواعد الاساسية والتسامح فى الكليات الشرعية وتعليل بعض الأحكام الشرعية بدعوى : مسايرة ركب الحضارة وبدعوى المقارنة بين ما عند المسلمين من احكام شرعية منصوصة وبين ما عند اهل الكتاب من احكام بدعوى انها مستقاة من التوراة والانجيل ، أو باسم التقارب بين الشريعة والقانون الوضعى او بتعبير آخر ادق (افراغ الشريعة الاسلامية فى اطار القانون الغربى) واذابتها فى هذا الاتون .

وهى محاولة خطيرة عمل الاستعمار الغربى على تنفيذها بكل الوسائل والامكانيات واستخدم لها عمالقة رجال القانون خاصة اولئك الذين خدعوا الناس بحديثهم عن عظمة الشريعة الاسلامية فى اول الأمر ثم تبين انهم يعملون على احتواء الشريعة داخل اطار القانون الوضعى .

ولقد حدد فقهاء المسلمين المدى الذى تتغير به الأحكام الشرعية بتغير الزمان وأبانوا أن ذلك أمر لا يمكن ان يترك على اطلاقه حتى يحقق أهواء الدعاة اليه بما يخرج الناس من اصول الشريعة الصحيحة وقوائمها الأساسية أو يغير الحدود والضوابط الثابتة والقوانين العامة وخاصة فيما يتعلق بتحريم الربا والزنا والخمر والقتل والسرقة .

ذلك ان الأحكام المستقرة الدائمة مأخوذة من نصوص قطعية فى ثبوتها عن الشارع وقطعيتها فى دلالتها على الأحكام المستفادة منها وهى تنظيم علاقات ثابتة وغير متطورة واهمها المحرمات والمواريث ، أما الأحكام المتغيرة فإنها تخضع لمدى قابلية العلاقات التى تحكمها

للتطور والتغيير ، وقد قيد الفقهاء قبول التيسير للجرح والترخيص فى المشقة فى المسائل التى لا نص فيها شريطة ألا يذهب هذا بدعامة واحدة من دعامات حفظ الأسرة وبناء الأمة التربوى والأخلاقى وتنشئة الأجيال الجديدة على الخلق والدين .

هذا ولا ريب ان هناك فوارق عميقة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية من ابرزها :

اولا : يهتم القانون الوضعى بالمساواة بينما يهتم الاسلام بتحقيق العدالة لأن المساواة تعنى فقط تطبيق القانون القائم على الجميع كيفما كان الوضع أو النظام ، بينما الشريعة الاسلامية تقصد إلى تحقيق العدالة ولا تعترف بأى قانون مناف لمقصدها ، قال الرسول ﷺ : «**كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد**» أى مردود على صاحبه .

ثانيا : تمتاز الشريعة على القانون الوضعى بأن أحكامها شرعت للدنيا والآخرة بما يحمل معتنقيها على طاعتها فى السر والعلانية فالقانون يرى ان مرتكب أى جريمة من حقه إذا استطاع ان يسترها ان يتفادى العقاب الدنيوى بينما ترى الشريعة الاسلامية ان الوجدان اليقظ حارس امين ، حتى اذا حكم القاضى لإنسان على حقه فإن المحكوم له مطالب بأن ينظر فيما اذا كان متفقاً مع حقه أو لا فإذا وجد انه ظلم لخصمه وجب عليه ان ينصف خصمه من نفسه .

ثالثا : تمتاز الشريعة على القانون بأن الحق لا يسقط بتقادم الزمن ، وان الاجتهاد او القضاء لا يحلان حراما ولا يحرمان حلالا لأن الشرع الاسلامى قائم على قواعد العدل المطلق ومقتضيات العقول فى حين ان القانون الغربى يسقط حق الفرد المتروك فلا يعود .

وفى الشريعة الاسلامية ان من أخذ مال غيره على غير وجه اذن الشرع فقد أكله بالباطل ومن الأكل بالباطل ان يقضى لك القاضى وانت مبطل .

رابعا : ان نظرة واحدة إلى العقوبات الاسلامية توضح انها شرعت بمثابة زواجر وجواير ، اما معنى كونها زواجر فلأنها تزجر الناس عن الجريمة وتمنعهم من ارتكابها وقد ثبت كونها زواجر بنص القرآن الكريم حيث قال الله تعالى : ﴿ **ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب** ﴾

ففى القصاص حياة للذين شاهدوا هذا القصاص لا الذين وقع عليهم القصاص ففى تشريع القصاص اذن قمع للشر من النفس الانسانية التى تخالف ما شرع الله وما نظم وما أمر وما حكم وكذلك فهى تمنع من لا ترده التقوى عن عمل يخالف به أمر الله تبارك وتعالى .

خامسا : تجمع ايدلوجية التشريع الاسلامى بين المصالح الروحية والحاجات المادية ، الجمع بين المصلحتين العامة والخاصة ، الجمع بين الثبات والتطور فالتشريع الاسلامى إلهى الأصول اجتهادى التطبيق فالأصول الالهية الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان والاجتهادات التطبيقية الاسلامية تختلف باختلاف الزمان والمكان .

الفصل السادس

الاقتصــــــاد

يختلف مفهوم الاقتصاد فى الاسلام عن مفهومه فى الفكر الغربى اختلافا واسعا عميقا ، سواء فى مجال الاقتصاد الرأسمالى أو الاقتصاد الماركسى .

ويتميز الاسلام فى نظرته الاقتصادية بأكثر من ميزة :

اولا : الحرية الاقتصادية وتحريم الاحتكار .

ثانيا : ازدواج الملكية وذلك بإقرار الملكية الخاصة وحمايتها لقيودها وضوابطها وإقرار الملكية العامة .

ثالثا : الضمان الاجتماعى : وذلك بكفالة حد الكفاية لكل فرد واعتبار الزكاة بمثابة مؤسسة الضمان الاجتماعى فى الاسلام .

رابعا : حفظ التوازن الاقتصادى بين الأفراد وإذابة الفوارق بينهم .

خامسا : الجمع بين الثبات والتطور أو خاصة الالتزام باصول معينة وفتح باب الاجتهاد فى التفاصيل وملاءمة التطبيق .

سادسا : الجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة ومناط الاقتصاد الاسلامى هو المصلحة .

سابعا : الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية والاحساس الدائم بالله تبارك وتعالى ومراقبته فى كل تصرف .

ثامنا : ارتباط ما هو مادى وما هو روحى فى الاسلام .

تاسعا : ازدواج الرقابة : الرقابة العلنية والوازع الدينى الداخلى .

عاشرا : حرم الاسلام انتاج الخمور أو التعامل بالربا أو الاحتكار أو كنز المال وحبسه عن التداول والإنتاج أو حتى صرفه فى غير مقتضى العقل وإلا عدّ المرء سفيها وجاز الحجر عليه .

حادى عشر : ان يكون النشاط متفقا مع المصلحة العامة .

ثانى عشر : المال : مال الله وحده والانسان مستخلف فيه ، استخلفه الله للانتفاع بهذا المال الذى يوجه فى سبيل الله أى فى سبيل مصلحة المجتمع ، والمال تطهره الصدقة ، والزكاة ركن من اركان

الاسلام وهو نظام للتعاون .

ثالث عشر : يرمى الاسلام إلى تداول المال بين الناس دون تداوله بين طائفة خاصة ، وقد قيد الشرع حق التصرف بالإنفاق بمنع الغش والربا والقمار والاحتكار .

هذه الأصول العامة للمنهج الاقتصادى الاسلامى تختلف اختلافا واضحا مع مفهوم الاقتصاد الغربى (الرأسمالى والماركسى) وابرز ما تختلف فيه هو تحريم الربا ، وقد حرم الاسلام الربا تحريما قاطعا حتى يمنع احتكار اقوات الناس ومنع التلاعب بالعملة ، وقد بين الاسلام فى وضوح أن النقود لا تؤجر ولا تلد النقود كذلك حرم الاسلام العاب الميسر .

وحين فرض الاسلام نظام الزكاة وأقر نظام التوارث كان حريصا على عدم تكديس الثروة وحين قرر الاسلام قاعدة الحرية الاقتصادية لم يجعلها مطلقة وقيدها بقيدين اساسيين : هما المبدأ الأخلاقى والمصلحة العامة .

وعندما سيطرت الدول الغربية على العالم الاسلامى فرضت عليه نظامها الاقتصادى وسخرت كل موارده الاقتصادية لتحقيق مطالب الغرب ودعم إقتصاده وحرمته من نظامه الاسلامى ومن موارده فى وقت واحد فكان هذا النظام وبالا على مقدرات المسلمين وثروتهم ووقع العالم الاسلامى فى نفس الأخطاء والأسواء التى عرفها الاقتصاد الغربى .

وبذلك فقد المسلمون المثل العليا الأخلاقية التى اقامها الاسلام للتعامل وغرقوا فى الربا والديون وصدق ما قاله رسول الله ﷺ حين قال : «**فانى أخاف عليكم الربا**» فقد ذهبت ثروة المسلمين حين اختلط حلالهم بحرامهم وكان ذلك واحدا من اخطار التبعية الغربية وقد أثبتت كلتا النظريتين عند التطبيق فشلها فى بلادها فى تحقيق الأمن والرخاء ، على نحو دفع العالم إلى المطالبة بنظام اقتصادى جديد ،

وكذلك لقى المذهبان فى البلاد الاسلامية فشلا ذريعا ، وتأكد ان النظام الاسلامى له طابعه الخاص المستقل الذى لا يخضع ولا ينصهر ولا تحتويه أية أنظمة وضعية وقد وجهت إلى النظام الراسمالى انتقادات كثيرة كانت سببا فى عجزه عن تحقيق الأمن الاجتماعى للمجتمعات التى اعتنقته .

وقد وجهت إلى علم الاقتصاد السياسى اتهاما بأنه ليس علما فى كلياته وتفصيلاته بل أقله علم وأكثره رأي وفكر إلى آخر ما هو معروف ومن هذه الاتهامات :

١ ـــ التعصب ضد مصالح الجمهور من المستهلكين والاجراء وضد مصالح الدولة التى تحافظ على الأمن وتضمن رفاهية المجتمع .

٢ ـــ التآمر للاستئثار بكل الامتيازات ذات الارباح الناتجة عن الثورة الصناعية .

٣ ـــ استعمال الآلة التى تنتج بديلا من الف رجل من العمال مما احدث ظاهرة البطالة الخطيرة التى اصبحت معطلة اجتماعية .

٤ ـــ المضاربة واغراق الاسواق وفى أحيان اخرى حرق البضائع .

٥ ـــ تكديس الأموال وتنميتها بالطرق الربوية .

٦ ـــ صياغة قوانين البلاد على نسق مصالح المقرضين لا المقترضين .

٧ ـــ تولد اخلاق الانانية وظهور الطبقات المتباغضة .

ويقول وارنر سومبارت : ان المثل العليا عن قيمة الذات الآدمية قد فقدت سيطرتها على عقل الانسان وان الجهود التى يجب ان تبذل لتنمية الرخاء الانسانى واسعاد البشرية لم تعد لها أية قيمة أو تقدير .

ويقول جون ايز : لقد أصبح رجال الأعمال عندنا تافهين فى مطاردة المال الذى يجب ان يكون وسيلة الى الحياة الطيبة لا غاية فى ذاته حتى نسوا الغاية واكتفوا بالتعلق بالوسيلة .

كذلك فقد عجزت الماركسية والشيوعية عن الغاء نظام الطبقات

وكشفت عن التسلط عن طريق نقل المال إلى ما يسمى ملكية الدولة ، والسعى إلى التفرد بالحكم بالاستبداد ، وقد عجزت التجربة خلال خمسين عاما عن ان تحقق نظاما انسانيا لأنها رفضت الدين والأخلاق اساسا وحاولت ان تقيم نظامها على اساس مادى صرف .

ومن ناحية اخرى فشلت النظم الرأسمالية فى تحقيق الاستقرار الاقتصادى مما ادى إلى اختلال التوازن فى توزيع الثروة بين الأمم وقسم المجتمع إلى طبقتين : رأسمالية اقطاعية وذوى الدخل المحدود من العمال والفلاحين كما ادى إلى تركيز الثروة فى يد فئة قليلة مستبدة وإلى انتشار البطالة والاحتكارات الطبيعية والصناعية التى تتكون وتستغل المستهلك والطبقات الصغيرة .

وهكذا نجد أن مفهوم الاسلام فى الاقتصاد مختلف تماما وأن مناهج الرأسمالية والماركسية كلاهما لايصلحان للمجتمع الاسلامى ولابد ان يتحرر المجتمع الاسلامى منهما عائدا إلى منهجه الأصيل .

الفصل السابع

المجتمع والمرأة والأسرة

يختلف الاسلام عن الفكر الغربى فى مفاهيم الاجتماع والمرأة والأسرة اختلافا واضحا وعميقا فحيث يقيم الاسلام قاعدة الأسرة نجد مدرسة العلوم الاجتماعية تنكر فطرية الأسرة وتقرر انها غير موجودة .

ويتمثل الفارق بين مفهوم الاسلام للمجتمع ومفهوم الفكر الغربى فى عدة نقاط جذرية تقوم اساسا على الخلاف العميق من حيث التكامل والانشطار فالفكر الغربى قد حدد موقفه بالنسبة للأساس الذى يرسى عليه ايديولوجياته المختلفة وهو اساس مادى بحت فالدين فى الكنيسة يوم الأحد اما باقى أيام الاسبوع فإن مختلف حريات الربا والحياة الاجتماعية تحكم المجتمع ، وتمثل (المنفعة) عاملا هاما فى حركة هذه الحريات بعيدا عن البذل او التضحية او غيرها مما يفرضه الاسلام على المجتمع الاسلامى ، وهناك الفارق الواسع بين العمل فى المجتمع لغاية قوامها الجزاء الآخروى وبين العمل على قاعدة : (ليس بعد الموت شيء) وهو ما يسيطر على المجتمع الغربى اليوم من اتجاه ، وإذا راجعنا مفاهيم الاجتماع الغربية فى مفرداتها جميعا وخاصة فى قضايا المرأة وجدنا خلافا واسعا وجذريا فالاسلام يعارض مفهوم الانجاب الطبيعى والدعوة إلى ابادة الضعفاء او تعقيم الفقراء ويجعل المجتمع كله رابطة واحدة يحمل قويه ضعيفه ، كما يعارض الاسلام استعلاء الانسان وفى نفس الوقت يعارض وصفه بأنه حيوان تحكمه غرائزه ويضع الانسان موضعه الطبيعى .

فالاسلام يعطى اهمية كبرى للانسان كفرد فى مجتمع ، ويقرر أن كل فرد فى المجتمع يستحق من الاحترام والطاعة قدر ما يحمل من المسئولية ويتحلى به من قيمة ما لم يكن نظاما من نظم الاجتماع ، إن الهدف هو هدم الفرد وهدم الأسرة لحساب الجماعية الأممية . ان دوركايم ومدرسته لا يعترفان بأن الكيان الانسانى للفرد هو أساس الحياة الاجتماعية وهو يرفض أن نظام الأسرة مرتبط بوجود العواطف التى يكنها الآباء للأبناء ويرفض العلاقة الزوجية وفروعها ويرفض وجود عاطفة دينية

فطرية لدى الانسان ويرفض مسألة الغريزة الجنسية والبر بالوالدين ومحبة الأبناء ويرفض القول بأن نشأة الدين والزواج والأسرة فطرية وهو يصدر فى هذا عن فكرة الجبرية الاجتماعية التى لا تجعل للفرد ارادة ما ، وتقوم نظريته على التفسير الحيوانى للانسان ويرى ان الاخلاق ليست قيمة ذاتية ولا هى ثابتة على وضع معين وان المجتمع هو الأصل فى كل الظواهر الاجتماعية وليس الانسان .

هذه المفاهيم التى تعتبر اساس النظام الاجتماعى الغربى اليوم والتى يحاول النفوذ الغربى فرضها على المجتمعات الاسلامية تختلف مع مفهوم الاسلام الأصيل حيث أرسى بناء الأسرة على الدين : اى على طاعة الله وتقواه ومراقبته والتقيد بأمره وحلاله وحرامه فى كل شىء ، من أجل ذلك جعل الزواج نظاما اساسيا له ضوابطه وقوانينه ولا ريب ان أزمة المجتمع الغربى وازمة الانسان الحديث وحضارته تتصل إلى حد بعيد بالانهيار الذى حدث للأسرة نتيجة عوامل متعددة منها انصراف المرأة عن البيت وفساد نظام الزواج وظهور التقاليد والعادات الخطيرة التى اثرت على هذا النظام ومنها نظام صديق العائلة والخلائل واتساع نطاق البيوت المستحدثة والخاصة خارج عش الحياة الزوجية ، كذلك فالاسلام لا يقر مشاعية العائلة ولا استقطاب ولاء الفرد للدولة للتقليل من اهمية الأسرة .

ومن أخطر محاولات الفكر الغربى الوافد (تغيير) وظيفة المرأة وهدم وظيفتها الأصلية ودفعها إلى مجال الحياة الاجتماعية والعملية دون تقدير لأهمية دورها فى التربية وبناء الأسرة ودعم هذه الخلية الاجتماعية الهامة .

كما يرفض الاسلام فكرة التطور المطلق (الدارونية) التى تلغى قاعدة الثوابت ، وفكرة (الجبرية التاريخية) التى تلغى إرادة الفرد وتنكر تفسير الانسان تفسيرا ماديا بل حيوانيا .

لقد أقام الاسلام الأسرة على مفهومها الصحيح ، حين قرر أن الأسرة

هى الفطرة وان اللقاء بين الرجل والمرأة سكن ومودة ورحمة ، وان الطبيعة البشرية قائمة على هذا اللقاء من اجل دوام الاستمرار والعمران ولذلك فقد قرر الاسلام ان الزواج سنة وان من رغب عن هذه السنة فهو ليس مسلما ولما كان هذا اللقاء الذى فرضته طبيعة الرجل وطبيعة المرأة لابد ان يتم فقد اعترف الاسلام بهذه الرغبة الصحيحة وقد رسم لتحقيقه وتنفيذه اطارا واسعا محكما أحاطه بكل عوامل القوة والمحافظة وحماه من الأخطار ولذلك فإن الخروج عن منهج الزواج فى العلاقة بين الرجل والمرأة هو أول المخاطر .

وكان من اخطر ما حاولت قوى النفوذ الأجنبى أن تغيره مفهوم المسلمين نحو المرأة : التى جعل الاسلام رسالتها الأولى هى الأمومة وبناء الأجيال الجديدة وحماية الأسرة ودعا إلى بذل عناية مضاعفة فى تربيتها حتى تكون قادرة على اداء مسئوليتها وواجبها مفرقا بين الرجولة والانوثة . وذلك بعد ان اعطاها الاسلام حقوقها كاملة وهى الحقوق التى لم تحصل على بعضها فى مجتمعات اوربا وامريكا إلا فى العصر الحديث وجاءت مؤامرة تحرير المرأة لهدم الأسرة ولإنفاذ مخططات الماسونية وبروتكولات صهيون فى تدمير المجتمعات واخراج المرأة إلى النوادى والمراقص بغير هدف إلا القضاء على مهمتها الأصلية ، وعندما يتشدقون اليوم بما يسمونه الجهاد الذى جاهدته المرأة فى سبيل الحصول على حقوقها نجد أن المرأة المسلمة تتراجع تماما عن المخطط المرسوم وترتفع فى ضميرها فكرة الاصالة والعودة إلى المنابع .

إن قضية العلاقة بين الرجل والمرأة وبين الآباء والأمهات من ناحية وبين الأبناء والبنات قضية كبيرة دخلت اليها مفاهيم مسمومة كثيرة بهدف تدميرها وإذا راجعنا وجهة الاسلام عرفنا مدى الفوارق العميقة بين مفهوم الاسلام ومفهوم الفكر الغربى وأهمها :

خطأ القول بأن الرجل والمرأة متساويان فى الخلقة والتركيب البيولوجى والعقل وقد ساق الفكر الغربى هذه الفرضيات فى صورة الحقائق المسلم بها غير القابلة للمراجعة أو البحث عن دليل علمى ولكن البحث العلمى الفسيولوجى قد كشف عن سلامة مفهوم الاسلام فإن تركيب المرأة تركيب خاص مختلف ومعد لمهمة معينة مختلفة حتى يرى الطبيب اليكس كارمل أن الاختلاف ليس موجودا فى الشكل الخاص للأعضاء التناسلية وحدها وإنما هو متغلغل فى تكوين الانسجة ذاتها وان كل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبى .

ومن هنا نفهم ما قررته الاديان وما اقامه الاسلام من الفوارق العميقة بين الرجل والمرأة وعن ان الدور الخطير الذى تقوم به المرأة من خلال الأسرة والطفولة والزوجية انما هو الاصالة الحقيقية والفطرة الطبيعية التى كشف عنها العلم بعد اربع عشر قرنا من نزول القرآن .

الفصل الثامن

التربيـــــــة

إن اختلاف مفهوم التربية بين الاسلام والفكر الغربى بعيد المدى ، أبرزها قيامها على النظرة الجامعة : روحا وعقلا وجسما وان يكون الالتزام الأخلاق اساسها ، وتقوم التربية الاسلامية وفق فهم شامل اساسه الايمان بالله والعمل فى الأرض من أجل النماء والبناء والانشاء وتقوم التربية الاسلامية على اساس بناء الفرد فى البيت قبل المدرسة واول من يطلب منهم القيام بهذه المهمة هم والديه . ومن هنا فإن الاسلام لا يقر مفهوم التربية الغربى القائم على الفصل بين التربية والأخلاق . ويعارض نظرية ديوى فى التربية معارضة صريحة وهى نظرية مادية اصلا تهدف إلى تربية الأبناء خارج نطاق الدين والأخلاق .

وقد تبين أن خير ما فى النظريات التربوية الحديثة قد احتوتها مناهج التربية الاسلامية من قبل مستمدة من القرآن الكريم والسنة ، وان جميع النظريات التربوية الوافدة قد نظر مفكروها إلى التربية من زاوية معينة مع اهمال بقية الجوانب .

كذلك فإن نظرية الفصل بين التربية والتعليم ، هى محاولة للقضاء على الوحدة الجامعة للتربية التى اقرها الاسلام وتستهدف القضاء على الذاتية الاسلامية المتميزة باخلاقها وايمانها بالله وصدق الوجهة فى التعرف على الحقيقة الاساسية وهى ان الله تبارك وتعالى هو الخالق وانه جل شأنه وراء كل معطيات الحضارة وليست الطبيعة وليست القوانين الجبرية التى يدعى الماديون انها تحكم مسار الكون دون تغيير .

وتتصف النظريات التربوية غير الاسلامية بالتناقض والنقص واختلافها فى اغراضها لأنها تمثل افكارا بشرية جاءت نتيجة ظروف فردية وجماعية اما الاسلام فلأنه من الحق سبحانه فقد جاءت نظراته التربوية شاملة ومتكاملة لجميع نواحى الحياة سواء بالتربية الفكرية أو الروحية أو الحسية أو المادية بما يلائم الفطرة الانسانية .

فالتربية الاسلامية من شأنها ان تنقل الانسان باختياره ورضاه من

فرديته إلى غيرية خالصة للانسانية كلها وليست غيرية محلية أو وطنية وهذا الانتقال لا يتم إلا عن طريق (تزكية النفس) التى هى فى استعداد لتقبل الانتقال من الانانية والبخل إلى البذل والانفاق .

والاسلام حين يعترف برغائب الانسان كلها وحقه فى الحصول عليها وممارستها ضمن ضوابط تحقق سلامتها وتبعدها عن التطرف والجمود جميعا ، يكون بذلك قد حقق مفهوم التربية الاسلامية وهو نقل الانسان المسلم من الصورة الواقعية إلى الصورة الأرقى فى درجات حسن الاتصال بالله والاستعداد لمرضاته .

ومن هنا فإن تشبث المعلمين بمناهج الغرب فى التربية مضاد تماما لمحاولة الخروج من الأزمة ذلك ان نظرية ديوي فى فصل الدين عن التربية والتعليم لا تناسب الأمة الاسلامية وهى قد لقيت معارضة فى وطنها وبين أهلها ، وقد كان الدين فى نظر الغرب معوقا عن النهضة وليس هو كذلك فى نظر المسلمين الذين كان دينهم منطلقا لدخول البشرية عصر الرشد الفكرى .

ومن هنا فإن الاسلام لا يقر المناهج التربوية الوافدة التى تحاول أن تدفع الاجيال إلى الاستسلام الكامل لمغريات الحضارات والسقوط فى مهاوى اخطارها واخطائها وتقبلها وتبرير الاوضاع المنحرفة القائمة ، ومن هنا فإن المجتمعات الاسلامية فى غنى عن تبنى الاسلوب الغربى فى التربية لأنه يؤدى إلى فقدان الشخصية وإلى سقوط المجتمع الاسلامى فى هوة الأخطار التى تعانى منها المجتمعات الغربية فى الوقت الحاضر تحت اسم ازمة الانسان الحديث .

ولا ريب أننا يجب ان نقف بحزم إزاء الحملة التغريبية الضخمة التى توجه إلى اسلوب التربية الاسلامى الذى يجعل من الدين والأخلاق اساسا لبناء النفس والعقل والجسم ويجب مقاومة فكرة : أن التعليم وحده يكفى لبناء الانسان فالاسلام فى نظرته الجامعة يقدم للانسانية اليوم منطلقا إلى

تخطى الازمات والعقدات وهو حين يجمع بين التعليم والتربية يؤدى مهمته الحقة فى بناء خلق قوى وغاية واضحة قائمة على تقوى الله تبارك وتعالى .

ولقد كان من أكبر ما دعا اليه الاسلام وشدد عليه هو النهى عن إفساد الفطرة بالتعاليم الضارة ولذلك فقد احاطها بحوائط قوية فقد نبه النفوس إلى ضرر التقليد الأعمى للآباء والقادة ، وأمر بطلب الدليل المقنع على كل دعوة يتقدم بها داع إلى نحلة ، وكشف عن أن العلم ما لم يكن له إطار من الغاية الواضحة فإنه لا يؤدى إلى شيء . وفى الاسلام يتحرك العلم والمتعلم فى اطار الأخلاق والعمل الصالح وترقية النفس والانتقال بها من الذاتية إلى الغيرية

والمنهج الاسلامى يتميز عن المنهج الغربى من حيث تكامله وجزئية الآخر فبينما يأخذ الاسلام الانسان ككل ويتعامل معه نفسا وعقلا وجسما فإن التربية الغربية تتسم بالانشطارية فهى تركز على جانب واحد وتهمل الجوانب الأخرى فهى فى مكان ما تربية جسمية خالصة وفى مكان آخر تربية عقلية صرفة ، وهى فى مكان ما تحاول تربية الفرد حراً كل الحرية لا يتعين بضوابط ولا حدود ، وهى فى مكان آخر تعد الانسان ترسا فى آلة المجتمع الكبرى لا رأى له ولا كيانا خاصا .

ولذلك فقد تقدمت — فى الغرب — بعض قوى الانسان وتأخرت قواه الأخرى فانتهى به ذلك إلى التمزق النفسى أما الاسلام فإن نظريته الجامعة إنما تحقق أولا من قبل كل شيء (السلام الداخلى) للنفس الانسانية .

وهو ما تعتقده التربية الغربية الانشطارية التى نحاول ان نأخذ بها .

لقد عجزت التربية الحديثة عن بناء الفرد فى بيئتها وكان من نتيجة دعوتها إلى اطلاق الابناء دون توجيه او رعاية : اشبه بمن دفع مجموعة من العمىْ إلى آبار محفورة فسقطوا فيها ، ذلك ان طبيعة الأمور تقتضى

بان يعان الكائن الصغير حتى يصبح قادرا على ان يعرف طريقه وان يرى ما حوله وان يحافظ على نفسه ولذلك فقد كانت الدعوة إلى إطلاق الأبناء دون توجيه أو رعاية عملا مسموما خطير الأثر وهو الذى انتج اليوم تلك الصورة التى يعيشها المجتمع الغربى بين جماعة رافضة فى اسلوب الهيبية وجماعة ضائعة فى اطار الوجودية وجماعة متحللة مندفعة مع الأهواء منقسمة على نفسها ، ومن هنا وقد تقرر عجز اسلوب التربية الحديثة فى بيئته فإننا فى المجتمع الاسلامى أولى الناس بالانصراف عنه والتماس منهجنا الاصيل الذى قدمه لنا القرآن والذى كون هذه الأمة واحياها وجعلها قادرة دوما على مواجهة الأخطار والذى حماها من التمزق والضياع .

لقد حرمت التربية الحديثة شبابنا المسلم من عنصرى الايمان والخلق وحاولت ان تدفعه إلى طريق مجرد من كل سلاح فأصبح عاجزا عن استيعاب حياته وهدفه وغايته .

الفصل التاسع

الفـــــــن

يقرر الاسلام للفن مفهوما مختلفا عن مفهوم الفكر الغربى :

اولا : أنه عنصر من عناصر الفكر لا ينفصل عن المنظومة الاسلامية فى هدفها ووجهتها ويخضع للتوحيد الخالص والالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية .

ثانيا : أنه يهدف اساسا إلى التسامى بالغرائز والارتفاع بالنفس الانسانية إلى الكمال .

ثالثا : إن الفن الاسلامى يستمد مقوماته من الكلمة البليغة والفكرة الموحدة انتقالا من عالم المادة إلى عالم الفكر .

رابعا : لا يقر الاسلام فكرة الصراع بين الانسان والقدر على النحو الذى يقوم عليه الفن الغربى . ولا يؤمن المسلم بأن الانسان يثبت ذاته بمصارعة القدر ولا بأن البطل يتحطم على يد القدر .

خامسا : يقوم الفن على تقديم الأخلاق على الجمالى وحماية النفس الانسانية من الانهيار تحت سنابك الشهوات واقرار اخلاقية الحياة والمجتمع ليكون الفرد والمجتمع معا قادرين على مواجهة الاخطار والتحديات .

سادسا : ان هدف بروتوكولات صهيون هو ضرب القدرة على المقاومة وخلق جو التحلل والترف الفاسد لتكون هذه المجتمعات عاجزة عن مواجهة السيطرة الخارجية .

سابعا : يختلف الفن الاسلامى عن الفن اليونانى الذى يقوم على طابعيه المادى والوثنى والذى يجعل الاولوية للتماثيل المجسمة إعجابا بالأجساد وعبادة الصور والجمال العارى .

هذا ويقرر المفهوم الاسلامى للفن : استحالة التناقض مع الفطرة فإذا كانت الفنون من روح الفطرة وجب الا تخالف او تناقض دين الفطرة فإذا خالفت الفنون الدين فى اصوله أو فى دعوته ووجهته فهى فنون باطلة .

ومن هنا تتعارض النظرة الوافدة للفن مع مفهوم الاسلام تماما فالمسلم لا يعبد الجسد الجميل عبادة وثنية ولا يقر الصراع بين الآلهة والانسان او بين القدر والانسان ولا يؤمن المسلم بتعدد الآلهة ولا تجسيد الإله فى صورة وثن حسى ملموس كما لا يؤمن المسلم بعبادة الطبيعة او المحسوسات كما لا يقر الاسلام نظرية تقليد الطبيعة او التموق عليها .

ومن هنا فقد قدم الفن الاسلامى مذهبا جديدا مستمدا من حقائق الاسلام ، فأبدع فى مجال رسوم الحيوان والطير وخلق من الحروف العربية ذات الاشكال المتباينة والاوضاع المختلفة طرازا زخرفيا يتمثل فيه الجمال والقوة واقام فن (الرقش) او الارابسك على وحدات متناسقة على نحو غاية فى البهجة والرونق الجميل .

وحين قرر الاسلام انه يرفض النقل المباشر من الطبيعة مما يطلق عليه فى الغرب (المحاكاة) كان يرمى إلى التحرر الوجدانى من مفاهيم الوثنية والتعبد للقريب الملاصق وهو بهذا لم يقفل الباب امام قدرات الانسان التعبيرية ولكنه حررها من ان تخضع لعوامل الفناء وما حرمه الله .

إن رفض الفن الاسلامى نظرية المحاكاة أو التقليد (التى هى اساس الفن الاغريقى والغربى) للنقل المباشر من الطبيعة قد فتح الباب امام التجريد واعادة الصياغة ، وبذلك اتجه الفنان المسلم حين تحرر من قوى الأرض للتطلع إلى السماء والآفاق البعيدة وإلى ما وراء الملموس والمنظور .

والفن الاسلامى يؤمن بأنه ليس ثمة عجز فى الطبيعة يكمله الفنان وليست الطبيعة إلا وحدة من آيات قدرة الله التى ينبثق عنها فى كل لحظة ملايين الصور فهو لا يواجهها بالجمود او يواجهها بالاعجاب بها وانما يواجهها بالاعتراف بقدرة الله القادر فليست الطبيعة معبودا كما هى فى الفن الغربى وليس الفنان بقادر على ان يصنع ما يضاهيها وليس فى تصور المسلم فعل نمائى تقوم به الطبيعة فى ذاتها ولذاتها اذ ليست

الطبيعة بكل اشكالها سوى صور من خلق الله وقدرته الفذة المعجزة ومن ثم فإن القول بأن الطبيعة عجزت عن الكمال قول مرفوض ومردود لأنه يوحى بأنه ليس فى قدرة الانسان مهما سمت مداركه ان يرى الطبيعة ناقصة وانه قد جاء لإتمامها وحاشا أن ينسب ذلك لمؤمن بالله تبارك وتعالى وصدق الله العظيم اذ يقول :

﴿ ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ﴾ .

وهذا تصور وثنى لا يقره الفن الاسلامى ، فلا الطبيعة عجزت ولا الانسان قادر على انه يعلو على ما صنع الله فى الطبيعة وحاشا للفنان المسلم ان يخطر بباله انه ينافس خلق الله . كما توهم بعض الغربيين .

وهكذا يختلف الفن فى مفهوم الاسلام عنه فى المفهوم الغربى فالمفهوم الغربى وثنى المصدر استمد مصادره من بين ما سماه الصراع بين الآلهة والانسان او بين القدر والانسان حيث تكون هذه هى عقدة الصراع فى المسرحيات اما المفهوم الاسلامى فهو قائم فى جوهره على القرآن والتوحيد والاطار الاخلاقى واخبات النفس لله واسلام الوجه لله وان يكون الفن مصدرا لكى تزداد النفوس المؤمنة ايمانا بقدرة الله تبارك وتعالى وعظمته وجلاله فى خلق كونه العظيم .

خـــــاتمـة

المحافظة على الذاتية الاسلامية
فريضة من فرائض العقيدة

إن خير تعبير عن موقف الاسلام وتميزه واختلافه مع الفكر الغربي بامتداده الوثني القديم ، ومراحل الفكر الديني اليهودي والمسيحي وبالمرحلة المعاصرة من خلال الفلسفات المادية يتقرر فى ان الفكر الاسلامى ، لا شرقى ولا غربى ، كما انه ليس مركبا للفكرين الليبرالى والماركسي ، وليس حلقة اتصال تربط بينهما بل هو فكر مستقل ذو طابع خاص يقوم على التوحيد ويتميز بعناصر اساسية ثلاث ١ ـــ ربانيته ٢ ـــ انسانيته ٣ ـــ عالميته . والاسلام بهذه المفاهيم يمتد بالرغم من كل ما يوجه اليه من مؤامرات لأنه الفطرة والعقل والمستقبل .

وان النكسات التى تصاب بها الأمة الاسلامية ترجع إلى أمرين :

اولهما : التهاون فى اقامة منهج الله وتطبيقه على المجتمعات .

ثانيهما : الظن بأن مناهج الغير الوافدة قادرة على إعطاء مجتمعات المسلمين دفعة إلى التقدم .

ولذلك فإن النكسة تكون دائما هى النتيجة الطبيعية لاصطناع اسلوب الغرب لمقاومة الغرب ، والتماس منهج أمة غاصبة للانتصار عليها والظن بأن الديمقراطية الغربية او الشيوعية الماركسية تضمر أى قدر من الصدق والوفاء لإعطاء امة الاسلام مكانها او اى قدر من القوة او العزة ، فقد خدع العرب والمسلمون بأكاذيب الصداقات الدولية وغفلوا عن الاسلوب الحقيقى لمواجهة اعدائهم ، هذا الاسلوب الذى رسمه لهم القرآن ففارقوه والتمسوا اسباب النصر على العدو مما ينفثه العدو نفسه ليخدعنا به وكأنه ينصحنا ، فهم بطبيعتهم يضمرون الحقد ويهدفون إلى ايقاع المسلمين والعرب فى شراكهم لاحتوائهم وإذلالهم ويخدعونهم ببريق الألفاظ والايديولوجيات ليردوهم عن منهجهم الأصيل وليضعوهم فى دائرة احتوائهم وليصهروهم فى بوتقتهم الأممية حتى يفقدوا ذاتهم التى يتميزون بها ويفقدون سلاحهم البتار فى مواجهة الأزمات والاحداث : ألا وهو منهجهم الربانى ، سلاحهم فى وجه كل غار وعاد ، كذلك فقد غفل

المسلمون والعرب عن مقاييسهم فى مواجهة العدو أو فى حساب النصر أو فى قيادة الجيوش ، أو تطبيق منهج الله وظنوا انهم يستطيعون لو التمسوا مناهج الغرب ان يصبحوا مثلهم قوة وان يتحرروا من اسرهم ، وكان ذلك اكبر مغمز فى حياتهم واقوى خنجر دفع إلى صدورهم ، ذلك لأن لكل امة قيمها وعقيدتها واساليبها التى تمكنها من النصر واستعادة الحق ، وان مفاهيم اى امة لا تنفع امة اخرى اذا اختلفت العقائد .

○ ○ ○ ○

إن ابرز ما نحتاج ايه ان نقف موقفا حاسما أمام الحضارة الغربية بعد ان حكم الغربيون انفسهم على حضارتهم بالهزيمة والانهيار ذلك أن من اكبر ارهاصات التمير الواضح بين الاسلام والفكر الغربى : الموقف المتميز من الحضارة الغربية وارهاصات انهيارها واستعلاء فلسفتها المادية وعجزها من خلال ايدلوجيتها الليبرالية والماركسية عن العطاء وعدم قدرتها بالرغم من التوسع العلمى والتكنولوجى البارع إلى إعطاء البشرية منهجا يحقق اشواقها الروحية وينظم حياتها المادية .

إن مفاهيم الحضارة الغربية هى من ابرز ما يختلف فيه الاسلام عن فكر الغرب فهذه المظاهر الحضارية كلها يراها الاسلام غريبة على المفهوم الانسانى لعدة أسباب :

١ ــ جفاف العواطف واختفاء العطاء البشرى المتبادل .

٢ ــ تنكر الابناء للآباء إلى حد يصل إلى القطيعة أو التخلص منهم .

٣ ــ حالة الاغتراب بين الأجيال .

٤ ــ الغياب عن الوعى نتيجة تعاطى المخدرات .

٥ ــ الانتحار نتيجة الوفرة .

٦ ــ ازمة الاستهلاك والاندفاع نحو الترف واهدار القيم .

٧ ــ تضحية القيم الاخلاقية والمسئولية الفردية والجزاء الأخروى .

٨ ـــ الاستعلاء العنصرى ودعوى السيطرة على مقدرات الطاقة وتبديدها .

ومن اجل ذلك كله كانت صيحة الاسلام اليوم هى :

يجب ألا يذوب المسلمون فى حضارة الغرب وان لا تحتوينا وان نقف منها موقفا واضحا وصريحا .

ان الحضارة الغربية بدأت من الاسلام ثم انحرفت عنه وانها الآن فى مرحلة السقوط لأنها خالفت منهج الله تبارك وتعالى واندفعت بأهواء الانسان ومطامعه ، وان هذه الأزمة التى تحيق بالبشرية اجتماعيا واقتصاديا مصدرها غياب البعد الإلهى عنها ، وقصورها عن السير فى طريق اسلام الوجه لله وعملها على تدمير القيم والاسراف فى تبديد الثروة واعلاء جانب الاستهلاك والاستعلاء بالقوة الذرية والهدروجينية فى صراع القوتين . ومن هنا فإن على الاسلام ان يتقدم ليستأنف طريقه فى بناء حضارة الانسانية من جديد على التوحيد الخالص .

إن رسالة الاسلام مدعوة لتنقذ العالم مرة اخرى بعد ان سقط فى براثن الوثنية والمادية والانهيار الخلقى .

وان المعركة اليوم هى معركة تأكيد الذات والمحافظة على الذات أو حماية الذات : الذات الاسلامية التى كونها القرآن الكريم خلال اربعة عشر قرنا من الانهيار ، من التدهور ، من الجمود ، من المداخلة ، من الانصهار فى الفكر البشرى العالمى .

ان المحافظة على الذاتية الاسلامية فريضة من فرائض العقيدة والأمة فى نفس الوقت ، ذلك انه قد تبين ان الهدف الحقيقى وراء المؤامرة التى تقودها القوى العالمية هى تذويب المسلمين فى الكيان الأممى والعالمى عن طريق ثلاث عبارات حدعت الكثيرين واصبحت تجرى على ألسنتهم فى سهولة ويسر دون دراية لمدى الأبعاد الخطيرة التى ترمى إليها وهى :

الانفتاح الثقافى ، التلقيح الثقافى ، اثراء الفكر .

وكل كلمة من هذه الكلمات فى حاجة إلى توضيح لاخطارها واعماقها يغيب على الغافلين المخدوعين .

لقد مر المسلمون عبر حلقتين من مراحل الصراع مع القوى الغربية الحريصة على التهام العالم الاسلامى : مرحلة الاحتلال العسكرى والسياسى ، ثم مرحلة الغزو الفكرى الليبرالى الماركسى الصهيونى .

وقد استطاع العالم الاسلامى ان يقف من هاتين المرحلتين موقف الصمود غير أن المرحلة الثالثة المبسوطة الآن من وراء كل مؤامرات الفكر والثقافة والتعليم وما يسمونه التبادل الثقافى والمنح الدراسية انما تستهدف إزالة الهوية الاسلامية العربية كاملة وصهر هده الأجيال الجديدة فى بوتقة الفكر الأممى تحت اسم الحضارة العالمية والثقافة العالمية .

ولذلك فنحن يجب ان نعرف عمق الفوارق بين الاسلام وبين هذه الايدلوجيات القديمة والمتجددة فى مختلف جوانب القضايا السياسية والاجتماعية الاقتصادية على النحو الذى تناوله هذا البحث كمنطلق للقضاء على تلك الدعوة المسمومة المثارة حول وحدة الاديان او وحدة الثقافات او وحدة الحضارات وهو اصطلاح قد يصلح فيما بين أمم الغرب ولكنه لايصلح فيما بين الغرب بشقيه والاسلام الدى له طابعه المتميز وذاتيته الخاصة التى يجب ان تبقى معلما واضحا صريحا إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

هذا وبالله التوفيق



صدر من هذه السلسلة

الكتاب	المؤلف
١ ـ تأملات فى سورة الفاتحة	[الدكتور حسن باجودة]
٢ ـ الجهاد فى الإسلام مراتبه ومطالبه	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣ ـ الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين	[الأستاذ نذير حمدان]
١٤ ـ الإسلام الفاتح	[الدكتور حسين مؤنس]
٥ ـ وسائل مقاومة الغزو الفكرى	[الدكتور حسان محمد حسان]
٦ ـ السيرة النبوية فى القرآن الكريم	[الدكتور عبد الصبور مرزوق]
٧ ـ التخطيط للدعوة الإسلامية	[الدكتور على محمد جريشة]
٨ ـ صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية	[الدكتور أحمد السيد دراج]
٩ ـ التوعية الشاملة فى الحج	[الأستاذ عبد الله بوقس]
١٠ ـ الفقه الإسلامى آفاقه وتطوره	[الدكتور عباس حسن محمد]
١١ ـ لمحات نفسية فى القرآن الكريم	[د. عبدالحميد محمد الهاشمى]
١٢ ـ السنة فى مواجهة الأباطيل	[الأستاذ محمد طاهر حكيم]
١٣ ـ مولود على الفطرة	[الأستاذ حسين أحمد حسون]
١٤ ـ دور المسجد فى الإسلام	[الأستاذ على محمد مختار]
١٥ ـ تاريخ القرآن الكريم	[الدكتور محمد سالم محيسن]
١٦ ـ البيئة الإدارية فى الجاهلية وصدر الإسلام	[الأستاذ محمد محمود فرغلى]
١٧ ـ حقوق المرأة فى الإسلام	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
١٨ ـ القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته [١]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
١٩ ـ القراءات أحكامها ومصادرها	[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
٢٠ ـ المعاملات فى الشريعة الإسلامية	[الدكتور عبد الستار السعيد]
٢١ ـ الزكاة فلسفتها وأحكامها	[الدكتور على محمد العمارى]
٢٢ ـ حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	[الدكتور أبو اليزيد العجمى]
٢٣ ـ الأقليات المسلمة فى آسيا وأستراليا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٢٤ ـ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	[الدكتور عدنان محمد وزان]
٢٥ ـ الإسلام والحركات الهدامة	[معالى عبد الحميد حموده]

الكتاب	المؤلف
٥١ ـ مفهوم القيادة فى إطار العقيدة الإسلامية	**[الدكتور سيد عبدالحميد مرسى]**



طبـــع بمطـــابع رابطـــة العـــالم الإســـلامي ـ مـــكة المكـــرمـــة